معًا
على طريق الإسلام

أ.د / السيد عبدالحليم محمد حسين

الأمين العام المساعد لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

عضو مجلس أمناء الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية

نسخة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معاً على طريق الإسلام

أ.د/ السيد عبد الحليم محمد حسين

الأمين العام المساعد لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

عضو مجلس أمناء الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية

الجزء الأول

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رقم الإيداع
٢٠١٠/٢٠١٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

حمدًا لمولى النعم، وصلاة وسلامًا على النبي خير العرب والعجم.

وبعد:

فهذه إشراقات إيمانية، تنضح بعبيرها الفواح، فتنسكب على القلوب المؤمنة، فتورثها الرضا والسكينة والأمان في عالم قلق مضطرب متموج بالشكوك والأوهام.

إن القرآن كتاب الخلود، ونور الوجود، ينشر شذاه العطر، على مأدبته الحانية، فيبدد يأس القلوب، واضطراب النفوس، ويقودها برفق إلى ساحة الإيمان، حيث الظلال الوارفة، والأماني العِذاب، فترتشف من نميره، وترتوي من رضابه، وتتفيأ في ظلاله.

وفي سنة خير البرايا، وسيد الأنام، تحيا الأفئدة مع وحي السماء، ونور الأنبياء وحياة الشهداء، وتطل من علٍ على خيرة الأصحاب، وكوكبة الأحباب، الذين آووا ونصروا وآزروا، ووقروا قائدهم وإمامهم سيدنا محمدًا ﷺ ونقلوا للدنيا كلها سنته القولية والعملية والتقريرية؛ لتكون نبرسًا كاشفًا ونورًا هاديًا لمن بعدهم، فوصلتنا غضة حية تتلألأ في ثياب الحق، كأنها عروس تحفها الأفراح وتشتاقها الأرواح، فشرحت عُمُد الإسلام، حتى أضاء الإيمان وأشرق في كل مكان، فتغيرت صفحة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الوجود، وتبددت ظلمات الشك والشرك والكفران، لترسُم للدنيا وللعالم أجمع سلوكًا جديدًا يتبختر في ثياب الطهر والنقاء، راكلًا بقدميه حياة السفاح والبغاء، ومؤكدًا على أخلاق الإسلام الجديدة ليعيش الوجود كله حياة خالية من الشرك والعبودية والمهانة والحقارة، معلنًا البراءة من ذل الإنسان للإنسان والخضوع لغير الواحد الديان، فلا ظلم ولا طغيان، ولا قهر لبشر مهما كان؛ بل إعلان لحقوق الإنسان، منذ اللحظة الأولى لبعثة خير الأنام، مصحوبة بعبودية الرحمن على منهج السنة والقرآن.

فهذا ديننا نقدمه في يسر لأبناء الإسلام سائلين المولى أن يردهم إليه ردًّا جميلًا إنه على ما يشاء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ **السيد عبد الحليم محمد حسين**

نيويورك

في أول المحرم سنة ١٤٣١هـ

القسم الأول

ما القرآن؟

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم القرآن

القرآن الكريم الذي نقرؤه أو نسمعه صباح مساء، كيف نزل؟ ومتى نزل؟ على من نزل؟ وبأي لغة نزل؟ وكيف نشأت هذه اللغة؟ وكيف سجل؟ ومن سجله؟ وما أسباب تنزيله؟ وما سر حروفه.. وماذا عن ناسخه ومنسوخه؟

هذه الرحلة جديرة بالتسجيل؛ لأنها رحلة أعظم كتاب عرفه الإنسان.. وهي رحلة معجزة لكتاب معجزة، وسنحاول في هذا الكتيب أن نلتمس أيسر الطرق التي تمضي بنا وتعرفنا برحلة القرآن.. كما سنحاول تجنب التعقيدات اللفظية، والمصطلحات التقليدية التي قد يستعصي على بعضنا إدراكها.

إن الرحلة بدأت من السماء العالية.. ثم انتشرت على الأرض تذرعها بطولها الزماني منذ أربعة عشر قرنًا إلى ما لا نهاية، وتذرعها بطولها المكاني فهي رحلة الإنسان على الأرض.

والرحلة التي سنمضي على طريقها لها شعبتان، شعبة تصف قصة نزول القرآن.. وشعبة تصف وصل إنسان الأرض بأسباب السماء عن طريق القرآن.

فلنمض على بركة الله على طريق القرآن، مهتدين بنوره عسانا ندرك بعض أسراره، ونرتشف شربة من بحر علمه، فعلمه من عند العليم الخبير ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وتهيأت الدنيا وتهيأ الإنسان لاستقبال القرآن

ليس بوسع الإنسان أن يعيش بغير عقيدة، فالعقيدة والحياة شيء واحد ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ولقد لازمت العقيدة نشأة الإنسان من بدء تكوينه الأول، ومن موقع هذا التكوين الذي تم في السماء، ثم بدء تلقينه العقيدة ثم وقوع الخطأ ثم التوبة مع توطينه في مكان آخر... ثم تتابع التلقين عبر القرون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

وبعد أن قطعت العقيدة مشوارًا طويلًا مع الإنسان تلقنه من دروس الحياة ما يصلح به شأنه، وتعينه بالرسل والأنبياء والمصلحين، وتثبت قلبه بالمعجزات.. كان لابد من وضعه على طريق ثابت مستقيم، فكان «القرآن».. وهو كتاب من الله إلى الناس كافة.. وكان لابد من وجود إنسان يشخص فيه هذا الكتاب فنرى فيه آياته متحركة بين الناس.. وكان هذا الإنسان «محمدًا» ﷺ.

وكان لابد من اختيار زمان ومكان لنزول الكتاب، الزمان كان بعد بعثة المسيح عليه السلام بستة قرون، ولأن المسيح كان آخر الرسل قبل محمد جعلت البشرى منه وقد سجل القرآن هذه البشرى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، أما مكان نزول القرآن، فقد اختير بحكمة بالغة وكان في الجزيرة العربية.. وهي كما نعلم قفر محروم من الماء والخضرة.. حتى إن أهلها كانوا يهجرونها إلى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العراق والشام حيث الماء والأرض الخصبة . . وكانت الهجرات تتم كل ألف سنة تقريبًا وكان آخرها في عهد المسيح عليه السلام .

والحكمة في هذا الاختيار أن الدعوة الجديدة لم تستند إلى قوة دولة وسلطانها وتراثها . . ولكنها اعتمدت على مبادئها لتكون مصدر قوتها الوحيدة .

واختارت الدعوة مكانًا معينًا في الجزيرة العربية . . له علاقة تاريخية بالدعوة الجديدة . . المكان مكة حيث كلف «أبو الأنبياء» سيدنا إبراهيم ببناء بيت الله الحرام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]، واختارت الدعوة شعبًا له خصائصه المتميزة وأسلوب حياة متميز أيضًا . . الشعب كان معظمه من أصول عربية عريقة باستثناء الأرقاء وعناصر أخرى وفدت إلى الجزيرة من جنوب أو شمال .

وكان الشعب معتدًّا بتاريخه القديم ، فخورًا بأنه يقوم على حراسة البيت الحرام . . وكان يتكسب من هذا التراث التاريخي ، ولكن لم يكن ملتزمًا بملة إبراهيم بل على العكس . . فقد فتن الشعب بعبادة الأصنام التي وفدت إليه من الشمال على يد أحد سادته «عمرو بن لحي بن حارثة الخزاعي» عندما كان يزور بلدة البلقاء بالشام فوجدهم يعبدون الأصنام فطلب منهم تزويده بصنم فأهدوه «هبل» فحمله إلى مكة ووضعه بالبيت الحرام فأعجب به قومه فعبدوه . . ثم تكاثرت التماثيل حتى غزت البيوت والأسواق .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلى الرغم من سيطرة عبادة الأصنام على عرب مكة إلا أن بعضهم كان يعبد الجن أو الملائكة وكان بعضهم يرفض كل الديانات ويؤمن بالدهر وهم الدهريون . . وقد ذكر القرآن الكريم هذه العبادات في مواقع متفرقة منه : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن : ٦]، وقال عن عبدة الملائكة : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ : ٤٠]، وقال عن الدهريين : ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

ومع هذا فقد استمسكت بعض الطوائف بملة إبراهيم وكانوا يتعبدون بها ، كما حافظ بعض النصارى على دينهم ، وكان لليهود مستعمرة دينية في يثرب لها تقاليدها وعباداتها الخاصة ، وكان شعب مكة -نتيجة لفقدان الالتزام العقائدي- يعاني من الفساد والظلم والتحكم الطبقي ، والمنازعات القبلية .

ولم يكن اختيار الزمان أو المكان مقصودًا به أن تقتصر الدعوة الجديدة على زمان معين أو مكان معين . . بمعنى أن تقتصر على الفترة التي تستغرقها دعوة النبي ﷺ أثناء حياته وأن تقتصر من حيث المكان على الجزيرة العربية ، والدليل على ذلك أن القرآن نص على شمول الدعوة . . وأنها للناس كافة سواء منهم من عاصر محمدًا أو من الذين سيكونون من بعده ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ : ٢٨] .

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج : ٤٩] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم نص صراحة على أن محمدًا سيكون خاتم الأنبياء: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وكما كانت الجزيرة العربية تعيش حالة اضطراب عقائدي وفكري واجتماعي، كان العالم الخارجي يعيش نفس المعاناة.

ونقلت صفحة أخرى فيطالعنا المشهد التالي اقتتال بين الدول العملاقة وإفلاس فكري وعقائدي بين الناس وكانت المدارس الفلسفية الكبرى والتي كانت تزود الناس بالغذاء الفكري والعقائدي قد انحرفت عن طريقها.. مدرسة كونفوشيوس في الصين تحولت إلى شبه دين تلبسه خرافات وأباطيل، مدرسة بوذا في الهند تحولت إلى عبادة تتسم بعذاب النفس، مدرسة زرادشت بفارس أضمحلت وتحولت إلى وثنية بغيضة.. وكانت فلسفة أرسطو في الغرب تعيش معاناة الفهم الصحيح.

أما العقائد السماوية فكانت تحاول أن تحافظ على بقائها في المعابد والأديرة بعد أن حاصرها سلطان الدول وحبسها عن الانطلاق.. وكان لا بد من إدراك البشرية حتى لا تهان فكان «القرآن».. وكان «محمد» ﷺ.

فماذا قدم القرآن للإنسان والإنسانية.. هذا السؤال يحتاج لجامعات علمية للإجابة عليه.. وكل محاولة للإجابة الفردية عليه لن تبلغ قطرة ماء من هذا المحيط الهائل من المعرفة ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].. وستكون محاولتنا إشارات ضوء على الطريق تنضم إلى إشارات أكثر إشراقًا منها لعلنا نهتدي بها إلى المعرفة.

* * *

كيف نزل القرآن وكيف دُوِّن

القرآن هو كلام الله المعجز المنزل على رسول الله ﷺ.

والقرآن له أسماء كثيرة منها:

الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

والفرقان: هو الكلام الفارق بين الحق والباطل..

والذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والتنزيل: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]، ويقال إن أسماء القرآن أكثر من خمسين اسمًا.

والقرآن له أوصاف منها:

أنه مبارك ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

فكيف نزل هذا القرآن وكيف دون؟

❊ ❊ ❊

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف نزل القرآن؟

هذا القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٦].

وكان جبريل هو الملك المكلف بنقل القرآن بألفاظه إلى الرسول، وهو المعنى هنا بالروح الأمين.

وما دور رسول الله محمد ﷺ؟

دور محدد بنص القرآن: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

ومتى نزل؟

يقول ابن عباس: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

لكن ما الحكمة في أن القرآن لم ينزل جملة واحدة؟

نقرأ الحكمة من هذه القصة: طلب اليهود والمشركون من الرسول أن يطلب من ربه أن ينزل عليه القرآن جملة واحدة كالإنجيل والتوراة لأنهما نزلا جملة واحدة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وهناك حكمة بل حكم اقتضت أن ينزل القرآن على فترات منها: تيسير حفظه وفهمه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وفي هذا يحدثنا رسول الله ﷺ: **«إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»**[1].

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متى وكيف دون القرآن؟

لقد دون القرآن في أربعة عهود نذكرها على التوالي :

عهد الرسول : لقد اختار رسول الله ﷺ مجموعة من خيرة أصحابه وطلب منهم كتابة القرآن ، نذكر منهم الخلفاء الأربعة ، وخالد بن الوليد وزيد بن ثابت ومعاوية . . وكان يعلمهم طريقة تدوين الآيات ويبين لهم مواضعها . . وكانوا يكتبون الآيات على رقائق من الحجارة المصقولة ، وجريد النخل ، والجلد والعظام . . وكان الرسول يأمر الكتاب أن يدونوا الآيات والسور حسب نزولها ، أما جمع القرآن على شكل مصحف فقد تم في عهد أبي بكر الصديق ، ولها قصة نذكرها في إيجاز .

عهد أبي بكر : في العام الثاني عشر للهجرة أي بعد أن تولى أبو بكر الصديق الخلافة ظهرت فتنة مسيلمة الكذاب ، فتصدى لها أبو بكر وأصحابه في معركة اليمامة ، وانتهت المعركة باستشهاد سبعين صحابيًا من حفظة القرآن فجزع عمر بن الخطاب من هذه الفاجعة ، وخشي أن يتبدد القرآن فذهب إلى أبي بكر وقال له : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وأني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن يجمع القرآن .

فقال أبو بكر : كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟

ثم يحدثنا أبو بكر عما تم بعد ذلك فيقول : فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، ثم طلبت زيد بن ثابت وقلت له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه .

وننتقل إلى يزيد بن ثابت لنستمع منه إلى وقع هذا التكليف عليه يقول : فوالله ، لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . . وما زال أبو بكر يراجعني وأنا أقول له كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب ، واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره وهي : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وروي أن أبا بكر الصديق كلف عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت بأن يقفا على باب المسجد ويطلبا كل من يحفظ القرآن أن يذكر لهما ما يحفظ ، ومما أوصاهما به أبو بكر : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه .

ووقف عمر وصاحبه على باب المسجد ونادى : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به .

وعلى هدي أبي بكر تم أول تدوين للقرآن واستند التدوين إلى مصدرين : أولهما ما دونه رسول الله في حياته ، وثانيهما ما كان يحفظه الصحابة .

دور علي : ولكن هل نفهم من هذا أنه لم تجر محاولات أخرى لجمع القرآن؟ ذكر المؤرخون أن علي بن أبي طالب شرع في محاولة لجمع القرآن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويذكرون هذه الواقعة عن عكرمة قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر قعد علي ابن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتي؟ فقال علي: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، فقال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت.

إلا أنه بعد أن تم جمع القرآن على الصورة التي ذكرناها، قال علي بن أبي طالب: أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله.

عهد عثمان: بقي أن نعرف شيئًا عن دور عثمان بن عفان في جمع القرآن.

قلنا: إن أبا بكر كلف بعض الصحابة بتسجيل القرآن مخافة أن يضيع أو يتبدد، أما عثمان بن عفان فقام بجمع القرآن في مصحف واحد ثم نسخ منه مجموعة من المصاحف وأرسل بها إلى البلاد الإسلامية.

ويحدثنا أنس بن مالك عن نشأة فكرة جمع القرآن عند عثمان، قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في قراءة القرآن، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة ابنة عمر أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم أردها إليك، فأرسلت بها إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

* * *

كيف نطمئن إلى صحة التدوين؟

قد يقول البعض : وكيف نطمئن إلى صحة ما دونه الصحابة؟

أولًا : لقد تكفل الله بحفظ القرآن بقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

ثم وصف كتابه بأنه سوف يخلو من كل تزييف ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

ثانيًا : وضع الله عقوبات مشددة لمن يكذب أو يفتري على كتابه قال : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر : ٦٠] .

فكيف يتخيل البعض أن أصحاب الرسول الذين وصفهم الله بقوله : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقال عنهم الرسول إنهم أقرب ما يكونون شبهًا بالأنبياء فقال فيما قال : **«إن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم . . إن مثلك يا عمر كمثل نوح»**[(١)] .

كيف يتصور أن من صاحبوا الرسول قرابة ربع قرن يصلون وراءه بالقرآن ، ويتدارسونه ، ويحكمون به ، ويقضون به ويقاتلون به ويسالمون

---

(١) أخرجه : أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وهو عند الترمذي (١٧١٤) بطرف آخر منه . قال الترمذي : «وهذا حديث حسن» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

به كيف يتصور أنهم يتآمرون على القرآن أو يحرفونه، أو يغفلون تسجيله كما نزل، كيف يمكن أن يتصور هذا؟

بقي سؤال عن مصحف عثمان، وهل هو المصحف الذي بين أيدينا؟

اتخذ مصحف عثمان مسيرته في الدول الإسلامية فوزع على كل البلاد الإسلامية، ولم يكتف سيدنا عثمان بإرسال النسخ بل أوفد مع كل نسخة عالمًا حافظًا للقرآن ليعلم الناس طريقة قراءة القرآن فأوفد عثمان زيد بن ثابت مع المصحف المدني، وعبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن قيس مع البصري.. وتمكن هؤلاء العلماء من نشر القراءة الصحيحة للقرآن الكريم.

ثم تتابعت عملية نسخ المصاحف عن مصحف عثمان حتى وصلت هذه المصاحف إلى أيدينا.

ولكن بقيت مسألة بسيطة وهي تتعلق بتنقيط المصاحف؛ لأن المصاحف في عهد عثمان كانت خالية من النقط.. بل لم تكن النقط موجودة على الإطلاق في عهد عثمان، وقيل إن أول من وضع النقط على الحروف العربية أبو الأسود الدؤلي.. أما الذي وضع النقط على حروف القرآن فهما (نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني) وقد قاما بهذا العمل العظيم بناء على تكليف من عبد الملك بن مروان، وقيل إن أبا الأسود الدؤلي.. سبقهما في تنقيط أحد المصاحف، أما عن شكل حروف القرآن فقيل إن أبا الأسود الدؤلي سمع أعرابيًا يقرأ هذه الآية: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] بكسر لام ورسوله

فغضب أبو الأسود وقال: لم يكن الله ليبرأ من رسوله، لكنه لم يضع أدوات الشكل الشائعة الآن بل كان يستعمل النقط بدلًا منها فكان يضع نقطة فوق الحروف دلالة على الفتحة ونقطة تحتها دلالة على الكسرة، ونقطتين دلالة على السكون، وأما عن الضمة فكان يضع نقطة بين الحروف كعلامة لها.

أما الصور التي اتخذته أشكال الحروف كما هي عليه الآن فقد تمت في عهد عبد الملك بن مروان.

وهنا تساؤل عن نشأة كتابة اللغة التي دون بها القرآن الكريم، من أين جاءت عرب مكة وكيف وصلتهم!!

الجواب يمكن أن نستنبطه من حوار جرى بين زياد بن أنعم وبين ابن عباس:

قال زياد لابن عباس: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق، هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع وما يكتب به اليوم؟

قال ابن عباس: نعم.

قال زياد: فمن علمكم الكتابة؟

قال ابن عباس: حرب بن أمية.

قال زيد: ومن علم حرب بن أمية؟

قال ابن عباس: عبد الله بن جدعان.

قال: ومن علم عبد الله بن جدعان؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال : أهل الأنبار .

قال زياد : فمن علم الأنبار؟

قال ابن عباس : طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن من كندة .

قال : فمن علم ذلك الطارئ؟

قال ابن عباس : الخلجان بن الموهم كان كاتب هود نبي الله ﷺ .

نخلص من هذا أن الكتابة بالحروف العربية انتقلت إلى مكة من خارجها وانتسبت إلى عهد سيدنا هود .

أما عن انتشار الكتابة في العرب فقد كان الفضل فيه لرسول الله ﷺ فقد شجع الجميع على تعلم الكتابة ، وخص الصبيان باهتمام كبير حتى إنه كان يقبل أن يفتدي الأسير نفسه إذا علم عشرة من المسلمين الكتابة .

بل قيل إن الرسول نفسه قد تعلم الكتابة والقراءة والذين قالوا بهذا يستشهدون بأحاديث وردت في «صحيح البخاري» بشأن صلح الحديبية ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب : **«هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»**[1] ، ويستشهدون بحديث آخر رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : **«رأيت ليلة أسري بي مكتوبًا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر»**[2] .

---

(١) أخرجه : البخاري (٢٧٠٠) ، ومسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب .

(٢) أخرجه : ابن ماجه (٢٤٣١) من حديث أنس بن مالك .

ومع هذا فإن أصحاب هذا الرأي مجمعون على أن النبي ﷺ لم يكن يعرف القراءة والكتابة عندما نزل عليه الوحي ولكنه تعلمها بعد نزول الوحي.

أما ما يستريح له قلبي فهو الأخذ بظاهر النص القرآني قال تعالى عن رسوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩].

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما سرُّ هذه الحروف: الم . .كهيعصَ . . ق؟

ماذا تعني هذه الحروف التي تتصدر السور؟ وهل هي سر غامض لا يعلم به إلا الله، أم هي ترمز إلى معان نستشفها من السور ومن موضوعها، هذا السؤال في حاجة إلى جواب؟

نلاحظ أن الحروف التي تبدأ بها بعض السور منها ما لا يزيد عن حرف واحد مثل: ص: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]، ق: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، ن: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

ومنها ما يتكون من حرفين: طه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١، ٢]، يس: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[يس: ١، ٢]، حم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١، ٢].

ومنها ما هو ذو ثلاثة أحرف: الم: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران: ١-٣].

ومنها ما هو أكثر من ثلاثة أحرف مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ١، ٢].

ماذا تعني هذه الحروف؟

يقول علي بن أبي طالب: «لكل كتاب صفوة وصفوة كتاب الله حروف التهجي»، ويقول عنها الخليفة الأول أبو بكر الصديق: «في كل كتاب سر وسر القرآن في أوائل السور».

وقال البعض : إن هذه الحروف أنزلت للتنبيه إلى أن القرآن ليس مكونًا إلا منها ، وقال بعضهم : إنها سر من أسرار الله لا يعلمه إلا هو .

وأجمل تفسير معاصر قرأته عن هذه الحروف ما ذكره الشيخ محمود شلتوت قال : «إن وصف القرآن ، بما وصف به من أنه هدى وتبيان ونحو ذلك لا يبطله أن تجيء في أوائل بعض سوره مثل هذه الحروف التي يتعلق بها تكليف أو إرشاد ، وأنه ما دام واضحًا في جملته وفيما قصد به ، فلا بأس من أن يرد فيه بعض ما استأثر الله بعلمه ، تنبيهًا على القدرة التامة في جانب الربوبية ، فكم لله في الكون من أسرار تنقضي الدنيا ولا تدرك ، وكم له في التكاليف من أسرار لا يملك العبد أمامها إلا أن يمتثل» .

وهناك ملاحظة جديرة بالتفكير وهي أن معظم هذه الأحرف يتبعها وصف من أوصاف القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] .

ومثل : ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل : ١] .

ومع هذا فقد لاحظ أنه ورد ذكر القرآن ووصفه ولم تتصدر السور الأحرف التي ذكرناها ، وأظهر مثل ما ورد في صدر سورة الكهف والتي نقرأها كل جمعة قال تعالى في أول السورة : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف : ١] .

وكذلك لم نلاحظ وجود الأحرف في أول سورة الفرقان يقول تعالى في أول السورة : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام وهي أن هذه الأحرف جاءت في أول السور المكية، ولم يرد لها ذكر إلا في سورتين من السور المدنية وتعليلهم لهذا أن السور المكية كانت تتسم بالشدة وقرع الأذهان والتنبيه إلى خطورة الأمر، ومن خصائص هذه الأحرف لفت النظر لأمور فيها تحذير وإنذار . . أما السور المدنية فمعظمها بشأن العبادات والتشريعات . . والواقع أن هذا التفسير لا يؤخذ كقاعدة لأن بعض السور المدنية نزلت في القتال والتحريض .

ونحن نميل إلى الأخذ بتفسير سيدنا أبي بكر بشأن هذه الأحرف وهي أنها سر من أسرار الله . . ونكتفي بهذا القدر عن مداخل السور لندخل إلى السور ثم الآيات .

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وماذا تعني الآية

الآية هي النص القرآني المعروف لدينا . . وقد ورد ذكرها في القرآن في مناسبات عديدة نكتفي بهذه الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وذكر رسول الله الآية في عدة مواقع ، ووصف آيات بصفات خاصة فمثلًا قال عن آية ذكرت في سورة البقرة : **«وأن لكل شيء سنامًا ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن وهي آية الكرسي»** [(١)] ، وقال عن آيات الفاتحة : **«الفاتحة سبع آيات**[(٢)] **وسورة الملك ثلاثون آية**[(٣)]**»** .

ولكن كيف تم ترتيب آيات القرآن؟

الثابت يقينا أن ترتيب الآيات كان بناء على أوامر صريحة من رسول الله ﷺ ، كما ثبت أن ترتيب الآيات كان يتم بناء على توجيهات من ربه ﷻ ، روى الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص أنه قال : كنت جالسًا عند

---

(١) أخرجه : الترمذي (٢٨٧٨) من حديث أبي هريرة ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب وصححه ابن حبان (٧٨٠) بذكر سنام القرآن ، وبذكر آية الكرسي صححه الحاكم في «المستدرك» . (٢/ ٢٥٩) من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه : الطبراني في «الأوسط» (٥١٠٢) عن أبي هريرة . قال الطبراني : «لم يرو هذا الحديث عن نوح بن أبي بلال إلا عبدالحميد بن جعفر ، تفرد به علي بن ثابت» ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٠٩) : «رجاله ثقات» .

(٣) أخرجه : أبو داود في «السنن» (١٤٠٠) ، والترمذي (٢٨٩١) ، وابن ماجه (٣٧٨٦) عن أبي هريرة . قال الترمذي : «هذا حديث حسن» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ إذ شخص إلي ببصره ثم صوبه ثم قال: «**أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية الموضع من السور!!** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]»[1].

سؤال تقليدي ما هي عدد آيات القرآن؟

عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية.

وسؤال تقليدي أيضًا ما أطول آية في القرآن؟

أطول آية وردت في سورة البقرة وهي آية الدين، أما أقصر آية فهي «يس».

وتعد البقرة أطول سورة والكوثر أصغر سورة في القرآن.

وماذا تعرف عن السور المكية أي التي تنتسب إلى مكة والسور المدنية أي التي تنتسب إلى المدينة؟

* * *

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٨) عن عثمان بن أبي العاص، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٧٩) وجعله من مسند عمرو بن العاص.

الناسخ والمنسوخ من الآيات

معنى النسخ أو المقصود بالنسخ أنه إذا تعارض نصان أ
آيات القرآن كانت الآية اللاحقة ناسخة أي ملغية لحكم الآية

ولكن هل يتصور أن كل آية من الآيات قابلة للنسخ؟

القول بهذا لا يقبله العقل فيستحيل مثلًا أن ننسخ آية عن
ووحدانيته، أو آية سجلت حدثًا تاريخيًا أو آية أمرت بمعر
عن منكر.

ولذلك فإن معظم الآيات المنسوخة من آيات الأحكام أي
وأضرب مثلًا بالعقوبة التي وردت عن عقوبة الزناة.. فقد
نسخت بأخرى.

الآية الأولى تقول: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن
فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا
فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ
رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥، ١٦].

هذه الآية نسخت بالآية التالية: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ
مِنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور: ٢].

بقي سؤال عن الحكمة من النسخ؟

أولًا: النسخ وحكمته تضمنته هذه الآية: ﴿مَا نَنسَخۡ
نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ إذ شخص إلي ببصره ثم صوبه ثم قال: «**أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية الموضع من السور!!** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]»[1].

سؤال تقليدي ما هي عدد آيات القرآن؟

عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية.

وسؤال تقليدي أيضًا ما أطول آية في القرآن؟

أطول آية وردت في سورة البقرة وهي آية الدين، أما أقصر آية فهي «يس».

وتعد البقرة أطول سورة والكوثر أقصر سورة في القرآن.

وماذا تعرف عن السور المكية أي التي تنتسب إلى مكة والسور المدنية أي التي تنتسب إلى المدينة؟

* * *

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٨) عن عثمان بن أبي العاص، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٧٩) وجعله من مسند عمرو بن العاص.

السور المكية والسور المدنية

يقول بعض العلماء : إن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة ، أي العبرة بالتسمية هي مكان نزول الآيات ، ولكن هذا القول ترد عليه تساؤلات عن السور أو الآيات التي لم تنزل بمكة أو المدينة ونزلت في أماكن أخرى كالتي نزلت في بدر أو أحد أو عرفات أو منى . . يقول هؤلاء العلماء : إن هذه السور نزلت بضواحي مكة أو المدينة والضاحية تنسب للبلد الأصلي .

إلا أنهم لم يجدوا جوابًا بشأن الآيات التي نزلت بتبوك مثل : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة : ٤٢] ، أو ما نزل منها في القدس ليلة الإسراء مثل : ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، إلا أن هناك رأيًا آخر يقول : بأن المكي ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة ، ويستشهدون بآيات منها : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، هذه الآية مدنية ومع هذا فقد نزلت بعرفة أي مكة . . وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٥٨] ، هذه الآية تعتبر مدنية ومع هذا فهي نزلت عند الكعبة عام الفتح .

قد يتساءل البعض عن الدافع وراء هذه الدراسة وهل المقصود بها الترف الذهني ، أم أنها تستهدف البحث العلمي ، وتقصي الحقيقة؟

الواقع أن دراسة المدني والمكي من السور والآيات ليست مقصودة لذاتها ولكنها وسيلة لدراسة أخرى وهي معرفة الناسخ في حالة اختلاف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكم في موضوع واحد فنأخذ بالحكم الذي جاءت به الآية المدنية لأنه لاحق بالحكم الذي جاء في الآية المكية . . ثم إن معرفة ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة قد يعيننا على تفهم الآيات ، وتفهم مقاصدها .

لكن كيف يمكننا تمييز الآيات المكية من الآيات المدنية؟

بذلت جهود مشكورة لمعرفة الآيات المدنية والآيات المكية وخصائص كل منها . . ولنضرب أمثلة :

قيل : إن كل سورة فيها سجدة تعتبر مكية .

وكل سورة فيها لفظ : ﴿كَلَّا﴾ تعتبر مكية وقد ورد لفظ ﴿كَلَّا﴾ في خمس عشرة سورة ، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والرسل والأمم السابقة مكية باستثناء سورة البقرة .

وكل سورة فيها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مكية باستثناء ما ورد في سورة الحج .

وقيل : إن كل سورة فيها الحدود ، والفرائض ، وأحكام الجهاد ، وما ذكر عن المنافقين مدنية ، ونكتفي بهذا القدر من التعريف بالسور والآيات لننتقل إلى الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن .

* * *

الناسخ والمنسوخ من الآيات

معنى النسخ أو المقصود بالنسخ أنه إذا تعارض نصان أي آيتين من آيات القرآن كانت الآية اللاحقة ناسخة أي ملغية لحكم الآية السابقة .

ولكن هل يتصور أن كل آية من الآيات قابلة للنسخ؟

القول بهذا لا يقبله العقل فيستحيل مثلًا أن ننسخ آية عن الإيمان بالله ووحدانيته ، أو آية سجلت حدثًا تاريخيًا أو آية أمرت بمعروف أو نهت عن منكر .

ولذلك فإن معظم الآيات المنسوخة من آيات الأحكام أي التشريعات وأضرب مثلًا بالعقوبة التي وردت عن عقوبة الزناة . . فقد وردت آية ثم نسخت بأخرى .

الآية الأولى تقول : ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ١٥ ، ١٦] .

هذه الآية نسخت بالآية التالية : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور : ٢] .

بقي سؤال عن الحكمة من النسخ؟

أولًا : النسخ وحكمته تضمنته هذه الآية : ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وننقل عن الشيخ الزرقاني صاحب كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» رأيه في الحكمة من الناسخ والمنسوخ يقول: لقد جاءت الشريعة إلى الناس تمشي على مهل متألقة لهم، متلطفة في دعوتهم، متدرجة بهم إلى الكمال رويدًا رويدًا، فالحكمة من النسخ هي أخذ المؤمنين الأول بأسلوب التدرج خاصة فيما يتعلق بالتشريعات والأحكام.

سيقول البعض: ولم لا ننسخ آية من آيات القرآن إذا اهتدى الناس إلى تشريع جديد فيه مصلحة الناس؟. نقول: إن القرآن ليس قانونًا من وضع الناس الذين يخطئون ويصيبون، وبالتالي يمكنهم إحلال دستور أو قانون محل قانون آخر.. فالقرآن صدر عن الله المنزه عن كل نقص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقد أنزل آخر كتاب على آخر نبي ولا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد ﷺ فكيف يتأتى نسخ آية من آية من آيات القرآن المحكمة.

لكن ما وضع الآية المنسوخة؟

الآية المنسوخة هي من آيات القرآن يتعبد بها، وتتلى شأنها شأن الآيات الأخرى لكن ما جاء بها من حكم لا يؤخذ به ولكن يؤخذ الحكم عن الآية التي نسختها وحلت محلها.

والسؤال الأخير بشأن الناسخ والمنسوخ.. وهو هل تنسخ آيات القرآن أحاديث رسول الله أو أفعاله؟

الجواب: نعم لأن كون النسخ يرد على آيات من القرآن فكيف لا يرد على أحاديث لرسول الله ﷺ ونكتفي هنا بذكر مثل واحد.. ففي صلح الحديبية والذي أبرمه رسول الله ﷺ مع قريش، والذي كان من شروطه أن

من جاء من مكة مهاجرًا بدينه وجب رده إلى مكة مهاجرًا وقد التزم رسول الله ﷺ بهذا الاتفاق، وسلم جماعة من المسلمين إلى مكة بعد أن تكبدوا مشقة الهجرة إلى المدينة، ثم جاءته امرأة فهم أن يردها إلى مكة فأنزل الله عليه هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

فالآية نسخت الاتفاق الذي أبرمه الرسول، والتزم الرسول بنص الآية ورفض تسليم المرأة المسلمة لكفار قريش.

❊ ❊ ❊

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسباب نزول القرآن

أسباب نزول آيات القرآن هي مفتاح فهم هذه الآيات، وأفضل وسيلة لتفسيرها، ولذلك عني العلماء بدراسة أسباب النزول وألفوا فيها العديد من الكتب، فمثلًا عندما نزل قول الله تعالى في تحديد فترة الصوم: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] جاء بعض المسلمين بخيوط بيضاء وأخرى سوداء، ثم ربطوها في أرجلهم وأباحوا لأنفسهم الطعام والشراب طوال الليل وهم ينظرون إلى الخيوط فإذا تبين لهم لون الخيوط السوداء امتنعوا عن الطعام فأسعفتهم السماء بهذا الإيضاح ونزل قول الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فأدركوا أن المقصود بالأسود والأبيض هو الليل والنهار.

مثل آخر يحكي قصةهجرة صهيب من مكة إلى المدينة، فعندما هاجر صهيب تبعه جماعة من قريش في محاولة لاسترجاعه، ولكن الرجل رفض الاستسلام لهم وتهيأ للقائهم وقال لهم: يا معشر قريش وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي، فرضوا بالفدية وخلوا سبيله، فلما وصل إلى المدينة، وروى قصته للنبي ﷺ قال له الرسول ﷺ: «**ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى**» ثم أنزل الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧][(١)].

---

(١) أخرجه: ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٢٨) عن سعيد بن المسيب، وبنحوه عند الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣١) من حديث صهيب، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٩٨).

وكانت بعض الآيات تنزل بالحلول لمشاكل مستعصية، يروى عن عمر ابن الخطاب أنه قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ويذكرنا عمر بن الخطاب بالحادثة الثالثة يقول: عندما اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] فنزلت كذلك.

والرد على التساؤلات:

وقد تنزل آيات القرآن ردًّا على تساؤلات، يقول ابن مسعود: سألت رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: **«أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»** قال: ثم أي؟ قال: **«أن تزاني حليلة جارك»** فأنزل الله تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩][1].

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولتصحيح المفاهيم:

ونزلت بعض آيات القرآن لتصحيح مفاهيم، فيحكى أن أحد الأنصار تهاجى مع رجل من قبيلة معادية، وكان مع كل واحد منهم بعض سفهاء قومه فأنزل الله فيهما: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦]، فلما سمع بعض شعراء المسلمين بنزول هذه الآية أسرع حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة وآخرون وقالوا لرسول الله: والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ونزلت بعض الآيات لتسجل مشاهد إنسانية نذكر منها قصة رواها أبوهريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل رسول الله إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله»**.

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله.. فذهب إلى بيته وقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا..

قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية.

قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال الرسول: **«لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة»**، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][1].

(١) أخرجه: البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والفصل في القضايا:

ونزلت بعض آيات القرآن للفصل في مسائل اختلف عليها فمن ذلك ما رواه النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل لله عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج.

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير عاقلكم.

فزجرهم عمر بن الخطاب وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

ولكشف خطط الأعداء:

ونزلت بعض آيات القرآن لكشف خطط الأعداء وغدرهم نذكر على سبيل المثال هذه القصة: اقتتل رجلان أحدهما من جهينة والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، ولما انتصر الغفاري على الجهيني، حاول كبير المنافقين عبد الله بن أبي استغلال الحادث لإثارة الفتنة بين المسلمين، فقال للأوس: انصروا أخاكم، والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ رسول الله ما قاله المنافق الكبير، فاستدعاه وسأله فجعل يحلف بالله ما قال فأنزل الله تنزيله من السماء: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

ونضرب مثلًا آخر لموقف تنتصر فيه الآيات لموقف معارض لما رآه رسول الله ﷺ بشأن المنافق الكبير عبد الله بن أُبي، فعندما مات هذا المنافق، جاء ابنه وكان صحابيًّا صالحًا وسأل رسول الله ﷺ أن يعطيه

قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه الرسول قميصه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: **«إنما خيرني ربي فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾** [التوبة: ٨٠] **وسأزيد عن السبعين»**.

فقال عمر بن الخطاب: إنه منافق.

ثم صلى رسول الله ﷺ على المنافق وهنا نزل قول الله ناهيًا إياه عن الصلاة على المنافقين: **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾** [التوبة: ٨٤][1].

وهناك آيات من القرآن، تنزل بالفصل في قضية معينة لتكون قاعدة يعمل بها إذا عرض مثيل لها فيما بعد.. نذكر هنا قضية عمار بن ياسر.. الذي اضطر تحت ضغط المشركين وإرهابهم وتعذيبهم له أن يقول لهم كلمة تعجبهم في حين رفض بلال وخباب أن يقولا ما يعجب المشركين، فلما رجع عمار إلى الرسول ﷺ سأله رسول الله ﷺ: **«كيف كان قلبك حين قلت أكان منشرحًا بما قلت»**؟ قال عمار: لا؛ فأنزل الله في كتابه: **﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾** [النحل: ١٠٦][2].

من الأمثلة السابقة يتضح لنا مدى الحاجة لمعرفة أسباب التنزيل حتى نتبين ما خفي علينا من أسرار القرآن، وحتى نتعرف إلى الأحكام الفقهية.. لكن قد يخلط البعض بين أسباب تنزيل الآيات وبين ذكر

(١) أخرجه: البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر.
(٢) أخرجه: الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٧) وصححه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأحاديث والقصص والوقائع التي تضمنها القرآن الكريم.. فمثلًا سورة الفيل وهي التي ذكرت قصة تعدي أبرهة على الكعبة وكيف صد هذا الغزو.. هذه السورة سجلت الأحداث كما وقعت وسجلت الحكمة المأخوذة من هزيمة أبرهة وحماية البيت الحرام.. هذا اللون من ذكر الأحداث والوقائع لا ينطوي على سبب من أسباب النزول.. أما أسباب التنزيل فيعني أن الآيات نزلت لتعالج قضية من القضايا المطروحة أو ترد على تساؤل، أو توضح غامضًا، أو تكشف عن حكمة.. والأمثلة السابقة يمكن أن تهدينا إلى المقصود من أسباب التنزيل.

نكتفي بهذا القدر من تعريف القرآن الكريم لننتقل إلى تعريف الحديث النبوي، ثم نكشف عن مدى التوافق بين القرآن والحديث.

❊ ❊ ❊

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القسم الثاني

ما الحديث؟

«ألا هل عسىٰ رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ علىٰ أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالىٰ، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، وأن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرمه الله».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم الحديث

- **«ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه ، وأن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرمه الله»**(١) .

بهذا الأسلوب وجه رسول الله ﷺ الاتهام لكل من يفرق بين الأحكام الواردة بكتاب الله والأحكام الواردة عن رسوله .

والمتأمل في الستة آلاف آية التي تضمنها القرآن ، وعشرات الآلاف من أحاديث الرسول سيخرج بحقيقة واضحة وهي أن القرآن والحديث يسيران على طريق واحد . . سواء في العقيدة أو التشريع أو الأخلاق ولا يصلح الإيمان ولا يكتمل إلا بالإيمان بهما .

وحتى لا يلتبس الأمر على الناس فإن الله أمرنا بأن نلتزم بما قاله رسول الله ﷺ التزامنا بما قاله الله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] فقرن طاعته بطاعة رسوله .

بل إنه حذر من عدم طاعة الرسول تحذيره من عدم طاعته : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٧] .

---

(١) أخرجه : أبو داود (٤٦٠٤) ، والترمذي (٢٦٦٤) ، وابن ماجه (١٢) عن المقدام بن معدي كرب ، وقال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» .

كما أوصى الرسول الأجيال من بعده بالتزام كتاب الله وسنته فقال: **«تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه»**[١].

والأسئلة التي سنحرص على الإجابة عليها:

- **ما هو الحديث النبوي والحديث القدسي؟ وما علاقتهما بالقرآن؟**
- **وما حكاية الأحاديث الصحيحة والأحاديث غير الصحيحة؟ وكيف نميز بينهما؟**
- **وهل هناك تعارض بين القرآن وأحاديث النبي ﷺ؟**
- **وهل أحاديث النبي ﷺ ملزمة لنا شأنها شأن القرآن؟**

وأسئلة كثيرة سنلتقي بها على طريق البحث.. وسنحاول الإجابة عنها من خلال القرآن والحديث النبوي.

- **وأول سؤال يتبادر إلى الذهن ما هو الحديث؟**

الحديث لغة: هو عكس القديم.. أما المقصود بحديث رسول الله ﷺ فهو: كل ما نسب للرسول من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

وفي هذا يقول الرسول ﷺ: **«نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها»**[٢].

---

(١) أخرجه: الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢)، والدارقطني (١٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٤) وغيرهم من حديث أبي هريرة. وصححه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٣١) بقوله: «وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد». وأخرجه: الترمذي (٣٧٨٦)، وأبوداود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤) وغيرهم من وجه آخر عن جابر نحوه.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما المقصود بالسنة . . فهي الطريقة ، وقد تكون السنة حسنة وقد تكون سيئة ، والسنة قد تضاف إلى اسم الله فيقال سنة الله أي أحكامه وأوامره ونواهيه . . ولكن إذا ذكر لفظ السنة مجردًا فهو يعني سنة رسول الله ﷺ ، ويطلق لفظ السنة على النوافل من العبادات كسنة الصبح والصوم من غير الفريضة . . كما تطلق السنة على ما شرعه الرسول في الأمور العامة .

ولكن ما المقصود بأن الحديث هو كل ما نسب إلى الرسول من قول أو فعل أو تقرير؟

في إيجاز مطلق نجري مسرعين لإيضاح هذه المصطلحات :

القول : هو الكلام المنسوب إلى الرسول ﷺ بصيغة واضحة ، مثل سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي ، أن يطاع فيما سوى ذلك ، مما تحقرون من أمركم فاحذروه ، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه»**[1] .

أما الفعل : فهو العمل المنسوب إلى النبي ﷺ بصورة صريحة كأن يقول الصحابي : رأيت رسول الله ﷺ يفعل كذا وكذا .

وبالنسبة للتقرير : التقرير يعني سكوت النبي ﷺ عن فعل وقع أمامه وفي وجوده مع أصحابه ، فمثلًا روى الصحابة أن الرسول ﷺ رأى بعضهم وهو يأكل لحم الضب ، فلم ينكر عليهم أكله إلا إنه لم يأكل منه وهذا يعني أن أكل لحم الضب ليس حرامًا .

---

(١) تقدم .

وهناك مصطلحات أخرى كثيرة تحتاج لإيضاح سنكتفي بذكر المتداول منها مثل السند أو الإسناد ، والمتن ومصطلح الحديث .

السند : معناه في اللغة العربية هو المكان المرتفع من سطح الأرض أما إذا ذكر في علم الحديث فهو يعني رواة الحديث .

أما المتن : فهو نص حديث النبي ﷺ .

أما مصطلح الحديث : فهو العلم الذي يعرف به السند والمتن ، وهذا العلم يتناول السند والمتن من حيث قبولهما أو عدم قبولهما .

❊ ❊ ❊

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنواع السنة

قسم الفقهاء السنة إلى تقسيمات عديدة . .

من هذه التقسيمات :

أولًا السنة القولية : وتعني ما قاله الرسول وهذه تعد بعشرات الآلاف .

ثانيًا السنة الفعلية : وهي تصرفات الرسول مثل قضائه بين الناس في القضايا التي عرضت عليه .

ثالثًا السنة التقريرية : وهي التصرفات أو الأقوال التي صدرت عن أصحاب الرسول وأقرها الرسول ﷺ بسكوته أو موافقته فيعتبر إقرار الرسول لقول الصحابي أو فعله كأنه صادر عن الرسول نفسه ، وأقرب وأشهر مثل حديثه المشهور مع واليه على اليمن معاذ بن جبل ، قال له الرسول ﷺ وهو يرسل به إلى اليمن : **«بم تقضي يا معاذ؟»** ، قال : أقضي بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد أجتهد رأيي ، فأقره الرسول ﷺ على قوله ، وقال : **«الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله»**[1] .

وهناك تقسيمات أخرى للسنة النبوية ، فقد قسمت السنة إلى سنة متواترة ، وسنة مشهورة ، وسنة آحاد .

---

(١) أخرجه : أبو داود (٣٥٩٢) ، والترمذي (١٣٢٧) عن رجال من أصحاب معاذ بن جبل .

السنة المتواترة : هي ما رواها عن رسول الله ﷺ جمع من الصحابة يستحيل أن يجتمعوا على الكذب ، لكثرتهم وأمانتهم وقربهم من الرسول ﷺ ومصاحبتهم له في كل مكان ، ثم يرويها عنهم جمع من التابعين لم يعرف عنهم الكذب ، ثم يرويها عنهم آخرون مثلهم حتى يتم تدوين الحديث .

ومن أمثلة السنن المتواترة : الصلاة بشكلها القائم فهي كما كان يصليها الرسول ﷺ ، وكان يقول لأصحابه : **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[1] .

أما **السنن المشهورة :** فهي السنة التي رواها عن الرسول ﷺ واحد من أصحابه أو أكثر لكنهم لم يجتمعوا عليها كالسنة المتواترة ، ثم نقلها عنهم جمع من التابعين لم يعرف عنهم الكذب أو التدليس .

وسنة الآحاد : وهي التي رواها آحاد عن الرسول عليه السلام ولكن لم يبلغوا حد التواتر ، ثم رواها عنهم آحاد لم يبلغوا حد التواتر ، ولكنهم ثقة ولا يعرف عنهم الكذب أو التدليس ومعظم أحاديث الرسول ﷺ من هذا النوع الثالث .

وهناك تقسيم آخر للسنة ، نعرض له بسرعة ، وهو السنة القطعية ، والسنة الظنية .

السنن المتواترة والمشهورة تعد سننًا قطعية .

أما سنن الآحاد وهي التي رواها آحاد عن الرسول فإنها تكون ظنية الورود عن الرسول ﷺ .

---

(١) أخرجه : البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكن ما المقصود بالظن؟

الظن له معنيان ، معنى سيئ ومعنى حسن .

مثلًا لقد ذم الله تعالى اتباع الظن ، وقال عن الذين كانوا يشككون في كتاب الله : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم : ٢٣] .

أما الظن الحسن فهو الظن اليقيني كقول الله تعالى : ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٢٠-٢٢] ، وقوله في موضع آخر : ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة : ١١٨] ، وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ٤٦] أي أنهم على يقين من ملاقاة الله . . ولو شكوا في لقاء الله لكانوا من الكافرين . . فالظن المقصود هنا هو الظن الحسن .

* * *

ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي

القرآن الكريم : هو اللفظ المنزل على رسول الله محمد ﷺ من عند الله ﷻ، فهو بألفاظه ومعانيه من عند الله ولا يد للنبي ﷺ فيه، ومهمته تبليغه للناس كما أنزل، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وهو المدون في مصاحفنا من أول الفاتحة إلى سورة الناس، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، ولا يستطيع الرسول ﷺ أن يزيد أو ينقص فيه ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

والقرآن لم يبدل ولن يبدل فيه شيء فقد حفظه الله لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وهو كتاب معجز ولن يستطيع إنس أو جن أن يأتي بمثله.

أما الحديث القدسي فهو ما قاله رسول الله ﷺ حاكيًا عن ربه ومعناه من عند الله، أما لفظه فالمشهور أنه من عند الله، ومع هذا فالحديث ليست فيه خصائص القرآن الكريم فهو ليس معجزًا، ولا يتعبد به كالقرآن فلا يصلى به مثلًا، وتصح روايته بالمعنى، ونكتفي بذكر جزء من أشهر حديث قدسي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول الله ﷻ : **«إني حرمت الظلم على نفسي فجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا يا عبادي . .»**[1] .

أما الحديث النبوي فهو كلام رسول الله ﷺ أما المعنى فمن عند الله . . وهو ليس معجزًا ولا يتعبد به ، ويمكن روايته بالمعنى .

* * *

(١) أخرجه : مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه ، مرفوعًا ، به مطولا .

كيف انتقل إلينا الحديث؟

نعرف جميعًا أن رسول الله ﷺ كان حريصًا كل الحرص على أن يقتصر التدوين على كتاب الله حتى لا تختلط الآيات بالأحاديث فنصح أصحابه بعدم تدوين الحديث، بل نصح بمحو كل حديث كان قد دوِّن دون علم منه وقال: **«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»**[١].

ولكن هل استمر هذا الوضع طوال حياة رسول الله ﷺ؟

ذكر لنا البخاري عدة وقائع تثبت أنه تم تدوين بعض الأحاديث، منها أن أبا هريرة قال: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثًا مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب.

كما يروي لنا واقعة أخرى مفادها أنه بعد أن استمع لخطابه اكتب لي يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: **«اكتبوا لأبي فلان»**[٢].

وهناك رواية لها أهميتها رواها البخاري: قيل إن رجلًا يدعى أبا جحيفة قال لسيدنا علي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟

قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة؟

قال الرجل: فما في هذه الصحيفة؟

قال: فكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[٣].

---

(١) أخرجه: مسلم (٣٠٠٤) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه: البخاري (١١٢)، ومسلم (١٣٥٥) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه: البخاري (١١١) عن أبي جحيفة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويعني بقوله أنهم كانوا يسجلون بعض الأحاديث النبوية .

ولكن ما صحة ما قيل من أن التدوين بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز؟

لقد أحس عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح أن المسلمين في حاجة للتعرف إلى الحديث الصحيح خاصة بعد مضي ما يقرب من قرن من الزمان على وفاة رسول الله ﷺ ، وأنه لا خوف من الخلط ما بين الحديث والقرآن بعد أن حسم سيدنا عثمان بن عفان موضوع القرآن وجمع المسلمين على أصل واحد وأحرق ما عداه كل هذا دفع عمر بن عبد العزيز لأن يبدأ في تدوين الحديث ، فكتب رسالة إلى الأقاليم ليقوموا بتدوين الأحاديث فأسرع العلماء للاستجابة لطلبه وكان في طليعتهم «أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وأبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري» ثم نشط التأليف في القرن الثاني واكتمل في القرن الثالث الهجري ثم ظهرت المسانيد .

* * *

أشهر المسانيد

المسانيد جمع مسند وهو جمع ما رواه صحابي عن الرسول في باب واحد على الرغم من تعدد موضوعاته، فمثلًا قاموا بجمع الأحاديث التي رواها عمر بن الخطاب في مكان واحد، فجمعت الأحاديث المتعلقة بالصلاة والزكاة وغيرهما.. ومن أشهر من اتخذ هذا الأسلوب في جمع الأحاديث عبد الله بن موسى العبسي، وأسد بن موسى المصري وأحمد بن حنبل.

ولكن هل استمر العمل بهذه المسانيد؟

ثبت من التجربة أن هذه المسانيد في حاجة للتبويب حتى تسهل مهمة طالب العلم، وظهرت فكرة تبويب الأحاديث الصحيحة.

وما هي أشهر المسانيد؟

أشهرها «مسند الطيالسي»، والطيالسي هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود، وهو فارسي الأصل.. وعاش في أواخر القرن الثاني الهجري ويتكون مسنده من أحد عشر جزءًا وبدأ مسنده بما رواه العشرة المبشرون بالجنة.

ثم «مسند أحمد بن حنبل» وهو من أشهر المسانيد، وجامعه هو الفقيه المشهور ابن حنبل والذي أطلق عليه إمام أهل السنة، وقد ولد في بغداد وعاش إلى منتصف القرن الثالث الهجري، وقد تضمن مسنده أكثر من ثلاثين ألف حديث أختارها من بين سبعمائة وخمسين ألف حديث، وروى فيه عن سبعمائة صحابي، وعن ست وسبعين صحابية.. وقد قام ابنه عبد الله بنقله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف نعرف الحديث الصحيح

يقولون إن الحديث الصحيح على درجات فما هي هذه الدرجات؟

أولًا : علينا بتعريف الحديث الصحيح . . ثم نتعرف إلى درجاته ، الحديث الصحيح : هو ما رواه مسلم متدين ، لا يعرف عنه الفسق .

لكن كيف نتأكد من أن الراوي متدين وغير فاسق . . وهذه أمور قد تخفى عن الكثير!!

الجواب على هذا ليس باليسير ، ولذلك رأى بعض العلماء أن من الأفضل الأخذ بالظاهر ، واستشهدوا برواية عن ابن العباس قال فيها إن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ وقال : إني رأيت هلال رمضان ، فقال له رسول الله ﷺ : **«أتشهد أن لا إله إلا الله»** .

قال : نعم ، قال : **«وتشهد أن محمدًا رسول الله»** ، قال : نعم ، قال : **«يا بلال أذن في الناس فليصموا غدًا»**[1] ومع هذا فإن البعض لم يأخذ بهذا الحديث على إطلاقه واكتفوا بقصره على الشهادة بالنسبة لرؤية الهلال ثم حاولوا تعريف العدالة بقولهم : «الرجل العدل هو من عرف بأدائه الفرائض ولزم ما أمر به ، وتوقى ما نهي عنه ، وتجنب الفواحش المسقطة ،

---

(١) أخرجه : أبو داود (٢٣٤٠) ، والترمذي (٦٩١) ، والنسائي في «المجتبى» (٢١١٢) ، وابن ماجه (١٦٥٢) عن ابن عباس . قال الترمذي : «حديث ابن عباس فيه اختلاف ، وروى سفيان الثوري وغيره عن سماك عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلا ، وأكثر أصحاب سماك رووا عن سماك عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلا» . وصححه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٢٤) .

وتحرىٰ الحق الواجب في أفعاله ومعاملاته وتوقىٰ في لفظه ما يثلم الدين والمروءة» .

وقد اشترط «الحازمي» أحد عشر شرطًا فيمن يعتبر حديثه صحيحًا وهي : الإسلام ، والعقل ، والصدق ، وعدم التدليس ، والشهود بطلب الحديث ، والتلقي من العلماء لا من الصحف ، والضبط لما يسمع ، والتيقظ ، وسلامة الذهن من الغفلة ، وقلة الغلط والوهم ، وحسن السمت والوقار ، ومجانبة الأهواء ، وترك البدع .

ومع أن هذه الشروط يصعب تحقيقها إلا أنه وجد من الرجال من تولوا مهمة تدوين الأحاديث الصحيحة علىٰ درجات بلغت عشر درجات من أهمها : ما اتفق عليه البخاري ومسلم وهو ما يطلق عليه متفق عليه .

وما انفرد به البخاري يقال رواه البخاري .

وما انفرد به مسلم . . يقال رواه مسلم .

وما كان علىٰ شرط البخاري ومسلم أي أن الحديث رواه رجال موجودون في «صحيح البخاري ومسلم» .

ثم ما كان علىٰ شرط البخاري . . أي الواردة في البخاري وليست في مسلم .

ثم ما كان علىٰ شرط مسلم . . أي الرواة في مسلم وليسوا في البخاري .

ثم ما صححه ابن خزيمة .

ثم ما صححه ابن حبان .

ثم ما صححه الحاكم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جولة مع كبار المحدثين عن رسول الله ﷺ

البخاري:

وهو أشهر هؤلاء العلماء، وقد ولد في بخارى في أواخر القرن الثاني الهجري، وعاش ما يقرب من ستين سنة، وكتابه المشهور هو «الجامع الصحيح» وقد جمعه خلال ست عشرة سنة، وشرحه لأكثر من تسعين ألف مسلم، ولقد شرح لنا البخاري كيفية إعداد كتابه قال: «خرجت كتابي هذا من زهاء ستمائة ألف حديث، وما وضعت فيه حديثًا إلا صليت ركعتين، وما أدخلت فيه إلا صحيحًا، وقد تضمن هذا الكتاب أربعة آلاف حديث عدا المكرر».

هذا الرجل العظيم ترك لنا تراثًا هائلًا من المعرفة والعلم لن يقدر بثمن، فقد نقل إلينا الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولقد عرف عن هذا الرجل تقواه وصلاحه وحبه للخير، يروى من بركاته أنه لما توفاه الله فاح من تراب قبره مثل رائحة المسك.

مسلم:

هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري ولد في السنة الرابعة من القرن الثالث الهجري، واختار أحاديثه من بين ثلاث مائة ألف حديث وهي التي تضمنها كتابه المشهور «صحيح مسلم» وهو من أدق كتب الحديث حتى إن بعضهم فضله على البخاري، ولكن الإمام مسلم نفسه كان يعلن في كل مناسبة أنه تلميذ للبخاري، وكان كلما زاره قبل يده وقال له: «يا طبيب الحديث».

أبو داود:

وقد عاصر الإمام أبو داود الإمام البخاري والإمام مسلم، واشتهر كتابه باسم «سنن أبي داود»، ويقول في كتابه: «كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنتها هذا الكتاب».

الترمذي:

وقد ولد في أوائل القرن الثالث الهجري وعاش ثمانين سنة وضمن كتابه «جامع الترمذي» أكثر من خمسة آلاف حديث.

النسائي «بفتح النون»:

وينسب إلى مدينة نساء بخراسان، عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع، وسجل كتابه المشهور «المجتبى» للنسائي.

وهذه الكتب الخمسة تسمى بالأصول الخمسة.

ولنا وقفة تأملْ قصيرة عند ذكر تاريخ هؤلاء العمالقة من المحدثين فجميعهم من غير العرب، ومع هذا فإنهم بفضل إيمانهم ومثابرتهم أجادوا اللغة العربية، وتمكنوا من نقل هذا التراث الضخم إلى الأمة الإسلامية عبر أكثر من عشرة قرون.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف نطمئن إلى صحة أحاديث الرسول؟

لنرجع إلى ما قبل عهد رسول الله ﷺ لنتعرف إلى العرب من خلال بيانهم وشعرهم، وكيف كانوا يتناقلون الحكمة والشعر، هؤلاء العرب كانوا يعتمدون على الذاكرة في الحفظ وفي النقل على لسان هؤلاء العرب الذين أسلموا تلقينا الحديث. تلقيناه من أكرمهم وأطهرهم وأكثرهم التزامًا لرسول الله ﷺ، كذلك تلقيناه من غير العرب الذين ارتقى بهم الإسلام إلى مدارج عالية فقاموا بدورهم في حفظ الحديث، ثم نقله هؤلاء المسلمون الأوائل الذين حفظوا الحديث عن رسول الله ﷺ نقلوه إلينا بصدق وأمانة، وحب ووفاء لسيرة رسولهم الذي علمهم وأدبهم ورباهم.. فهل يعقل أن ينقل أبا بكر أو عمر أو صحابي من أصحاب الرسول ﷺ حديثًا عن رسول الله ﷺ دون التأكد منه.

لنستمع لهذا الحوار بين الزبير وابنه لنعيش عصر هؤلاء الناس ونتفهم طبيعة علاقتهم بالرسول ﷺ.. سأل ابن الزبير أباه قال: ما لي لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان، قال الأب: إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعته ﷺ يقول: **«من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**[1].

ولنستمع إلى ابن عم رسول الله ﷺ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يجسم لنا مسئولية المحدث عن رسول الله ﷺ يقول: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه.

---

(١) أخرجه: البخاري (١٠٨)، ومسلم (٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

إن الأمثال بالآلاف ولن يتسع لها المقام وأكتفي منها بذكر هذا الحوار بين ابن العباس ورجل يدعى بشير العدوي : اندفع بشير العدوي يحدث عن رسول الله ﷺ، وابن عباس لا يأذن له في الحديث، ولا ينظر إليه، فقال الرجل لابن العباس : ما لي لا أراك تنصت لحديثي، أُحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع، فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلًا يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف -أي لما عاشوا عيشة مرفهة .

وكان لطريقة الرسول ﷺ في تلقين أصحابه الحديث أثرها البالغ في حفظهم له والتمكن منه، فيروى أنه كان يطلب من الصحابة أن يقرءوا عليه القرآن، والمعروف أنه كان أحفظهم له لكنه كان يحرص على إشراكهم في الفهم والعلم، روى البخاري ومسلم أن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : **«اقرأ علي القرآن»**، قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، قال : **«إني أحب أن أسمعه من غيري»** فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١] قال : **«حسبك الآن»** فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1] .

وهناك أسباب لا حصر لها، ولكن سأكتفي هنا بذكر سبب عاطفي وهو الحب، والحب الذي نعنيه والذي يشغلنا هنا هو حب الله وحب رسول الله ﷺ، حبهم للمؤمنين، وحب المؤمنين لهم وهو حب أكبر

(١) أخرجه : البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعمق مما نتصور ويكفي أن نذكر هذه الآية لندرك أبعاد الحب ، يقول الله تعالى في المؤمنين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ويقول عن رسوله ﷺ وعن حبه لأصحابه : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب : ٦] .

وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه»**[1] .

هذا الحب الغامر جعل من الصحابة سجلات وكتبا دونت فيها أحاديث الرسول ودونت بكل أمانة وصدق وحرص . . فهل يعقل أن يغفل عمر أو أبو بكر أو علي أو عبد الرحمن بن عوف عن حديث قاله رسول الله ﷺ . . وهم الذين تأدبوا وتعلموا وصاروا أئمة بفضل القرآن والحديث .

* * *

(١) أخرجه : البخاري (١٥) ، ومسلم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

مراحل تدوين الحديث

لما نزل القرآن الكريم أمر رسول الله ﷺ بتدوينه مخافة النسيان والغفلة من الحفاظ، وقد تم تدوينه وحفظه، ففكر بعض الصحابة في تدوين الحديث إلا أن رسول الله ﷺ أمرهم بعدم التدوين حتى لا يختلط مع القرآن.

ثم إن تدوين الأحاديث كان سيحتاج إلى جهود ضخمة في عصر عز فيه الكتاب وعزت فيه أدوات الكتابة.. ومع هذا فإن هذا النهي لم يستمر إلى النهاية، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قد سمح بكتابة الحديث، وقيل إن عبد الله بن عمرو كان من أوائل من سجلوا أحاديث، والسؤال المطلوب الإجابة عنه كيف وصل إلينا الحديث؟

كلنا نعرف أن العرب كانوا يشتهرون بقوة الذاكرة والحفظ فكان الرجل منهم يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر، وكانوا سجلًا للتاريخ القديم، وسجلًا للشعر والقصص، فلما جاءهم الإسلام صقل فيهم هذه المواهب، وخلق فيهم حوافز جديدة للحفظ من أهمها حفظ القرآن للتعبد به والاحتكام إليه كما حرصوا على حفظ حديث رسول الله ﷺ لتصح عبادتهم ويكتمل فهمهم للدين.

ولقد وصف لنا الشاعر العربي مدى تعلقهم بحديث الرسول ﷺ قال:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور يستضاء به ومن حديثك في أعقابها حاد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم يكن حفظ الحديث قاصرًا على الرجال بل كان النساء يتسابقن لتلقي الحديث وحفظه، أرسل النساء إحداهن لتكلم الرسول ﷺ ليجعل لهن يومًا يتلقين فيه الحديث فقالت امرأة للنبي ﷺ : يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله .

وكان رسول الله ﷺ يشجعهم على حفظ الحديث واستيعابه ومما يؤثر عنه هذا الحديث المتواتر : **«نضر الله امرأً سمع منا حديثًا فأداه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»**[(١)] .

وروى الشيخان حديثًا مماثلًا : **«ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»**[(٢)]، ومع الترغيب في السنة وحفظها كان الترهيب من تركها كما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«من رغب عن سنتي فليس مني»**[(٣)] .

ولكن هل نفهم من ذلك أن هذا هو المقصود من حفظ الصحابة للحديث!! هناك أمور كثيرة دفعت الصحابة للحرص على حفظ الحديث وفهمه، منها مفهومهم للحديث باعتباره مصدرًا تشريعيًّا ملزمًا لهم في حياة الرسول ثم بعد وفاته .

---

(١) تقدم .

(٢) أخرجه : البخاري (١٧٣٩)، ومسلم (١٦٧٩) وهو مروي عن غير واحد من الصحابة كابن عباس وأبي بكرة .

(٣) أخرجه : البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس .

كذلك كانوا يتابعون الأحكام التي كان يصدرها رسول الله ﷺ في الأقضية التي كانت تعرض عليه حتى إذا عرضت عليهم قضايا مماثلة رجعوا إلى أقضية الرسول . . ونذكر على سبيل المثال قصة المرأة الجهنية التي أقرت بزناها، وكانت حبلى من الزنا، فأمر الرسول ﷺ بوليها ليكفلها حتى تضع، فلما وضعت أمر بها فرجمت ثم صلى عليها، فقال له بعض الصحابة: كيف تصلي عليها وهي زانية؟ فقال: **«إنها تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله ﷻ»**[1].

من هذا نفهم أن الصحابة حرصوا على حفظ الأحاديث لتكون لهم مرجعًا تشريعيًا وقضائيًا وعباديًا وأخلاقيًا وسلوكيًا.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه: مسلم (١٦٩٦) عن عمران بن حصين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موقف السنة من التشريع

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

هذه الآية آمرة، فهي تلزمنا برد الأمر إلى الله وإلى الرسول.. ولكن قد يفهم من هذا أن رد الأمر كان في حياة رسول الله ﷺ ولا يعمل به بعد موته!!

هذا القول مردود لأن رد الأمر إلى الله يعني رد الأمر إلى كتاب الله ﷻ، فليس من المعقول أن يسأل الناس الله فيجيبهم، وكذلك الأمر بالنسبة لرسول الله ﷺ بعد وفاته فإن الأمر يرد إلى حديث وسنة رسول الله ﷺ فهي باقية وخالدة.

ولكن هل هذه الآية هي الدليل الوحيد على التزامنا بالسنة كمصدر للتشريع؟ هناك عشرات الآيات في القرآن الكريم تؤكد هذا المفهوم.

ولا يفوتنا أن ننقل قولًا مشهورًا للإمام الشافعي يقول: لم أعلم من أهل العلم مخالفًا في أن سنن النبي ﷺ من ثلاثة وجوه، أحدها ما أنزل الله ﷻ فيه نص كتاب فسن رسول الله ﷺ مثل ما نص الكتاب، والآخر ما أنزل الله ﷻ فيه جملة كتاب فبين الرسول عن الله معنى ما أراد، والوجه الثالث ما سن رسول الله ﷺ بما ليس فيه نص كتاب.

ومع هذا فالأمر يحتاج لتفصيل وإيضاح :

فالذي لا جدال فيه هو أن القرآن الكريم يعتبر المصدر الأول للتشريع الإسلامي وتأتي السنة كمصدر ثان .

وعن مقام السنة من القرآن :

هناك ثلاثة أمور :

أولًا : أن تقرر السنة حكمًا جاء في القرآن أي توكد هذا الحكم وبالتالي يكون الحكم مصدره القرآن والسنة ، كتحريم القتل بغير حق والسرقة ، وجميع النواهي التي ذكرها القرآن الكريم وأكدتها السنة المطهرة .

ثانيًا : أن تفصل السنة حكمًا جاء في القرآن أو تفسيره لأن الرسول ﷺ مكلف من الله تعالى بأن يبين القرآن للناس بقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤] ، فمثلًا فرض الله الصلاة جاءت السنة وبينت لنا كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وكذلك الأمر بالنسبة للزكاة والحج فقد جاءت مجملة ففسرها وشرحها الرسول .

وتقوم السنة بدور آخر وهو أن تقيد النص القرآني والأمثلة توضح معنى التقييد فالقرآن حرم الربا ، وحرم أكل الميتة ولحم الخنزير ، فبينت السنة ما يحل من أنواع الميتة مثل إباحة السمك الميت . . والقرآن يعاقب السارق بقطع اليد وجاءت السنة لتقيد هذا النص فمنعت القطع إلا في ربع دينار فأكثر .

هذه أمثلة موضحة ، ويفهم منها أن السنة من مهمتها تفسير وتفصيل وتقييد النص القرآني . . وهي بهذا تدور في فلك النص ولا تتعداه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المهمة الثالثة : هي أن تضع السنة الحكم بمعنى أن يكون أساس الحكم السنة كقول الرسول ﷺ : **«لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»**(١) ، وكقوله : **«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»**(٢) فهذه الأمور لم يرد بشأنها نص في القرآن الكريم ، ومع هذا فهل تعتبر هذه الأمور تشريعًا؟!

نعم تعتبر تشريعًا ولنرجع لآيات القرآن ليتأكد لنا هذا المفهوم بقول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

هذه الآية تبين مكان الرسول من الله ﷻ . . يقول الله للمؤمنين : ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران : ٣٢] . . فيقرن الله طاعته بطاعة رسوله ، كما ينهى في آية أخرى عن مخالفة الله ورسوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، فالسنة تشريع واجب الاتباع بنص القرآن الكريم .

وهناك بعض الأحكام لم يرد فيها نص في كتاب الله ولكن ثبت أن الرسول ﷺ وضع لها تشريعًا قوليًا أو فعليًا وبالتالي صارت تشريعًا ملزمًا ، **ومن أمثلة ذلك :**

عقوبة الزاني المحصن سواء كان رجلًا أو امرأة لم ترد في القرآن الكريم ولكن الرسول ﷺ قد تحدث عن العقوبة صراحة ، كما وقع العقوبة على

---

(١) أخرجه : البخاري (٥١١١) ، ومسلم (١٤٠٨) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه : البخاري (٢٦٤٥) ، ومسلم (١٤٤٧) عن ابن عباس .

الزناة، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس»**[١]، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه وقع عقوبة الرجم على ماعز[٢] والغامدية[٣]، وقد استقرت هذه العقوبات طوال الحكم الإسلامي، ولم يعترض عليها أحد بمقولة أنها لم ترد في كتاب الله.

ومثل آخر قريب من المثال الأول وهو بشأن عقوبة شارب الخمر، فنحن نعلم أن الخمر حرمت بكتاب الله ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].. إلا إنه لم ينص في كتاب الله على عقوبة شارب الخمر، فقال الرسول ﷺ: **«من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه»**[٤].

ثم إن الرسول ﷺ جلد شارب الخمر.

وقيل إنه جلد أربعين جلدة إلا أن الصحابة أجمعوا على أن الجلد ثمانين.

نخلص من هذا أن تحريم الخمر مصدره كتاب الله، وأن العقوبة مصدرها سنة رسول الله ﷺ، وأن مقدار العقوبة وهو الجلد ثمانون جلدة مصدره الإجماع.

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه: أبو داود (٤٣٦٣) عن أبي بكر رضي الله عنه، وهو عند البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) بنحوه.

(٢) أخرجه: البخاري (٦٨٢٤)، ومسلم (١٦٩٣) عن ابن عباس.

(٣) تقدم.

(٤) أخرجه: أبو داود (٤٤٨٥)، والترمذي (١٤٤٤)، والنسائي في «المجتبى» (٥٦٦٢)، وابن ماجه (٢٥٧٢) عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم

بعد أن أنزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ، وعلم أسراره، وأدرك مقاصده، قام بمهمة شرحه وتفسيره للناس ليسر عليهم العمل به، والتخلق به، والجهاد به، والقضاء به، والحكم به . . وها نحن نمضي إلى حيث كان يجلس المعلم العظيم، ومن حوله تلامذته ينصتون إليه بقلوبهم وعقولهم ونحاول أن نلم بطرف من تفسير الرسول للقرآن .

ولسوف يتأكد لدينا أن الرسول ﷺ كان القلب الواعي واللسان الناطق بالقرآن، وأن أقواله وأفعاله كانت من خلال القرآن .

أمثلة من تفسير الرسول:

لقد قام الرسول عليه السلام بتفسير القرآن وإيضاحه للناس ليبين لهم ما غمض عليهم، وسنكتفي بذكر بعض الأمثال عن تفسير الرسول ﷺ للقرآن :

ورد بشأن عقوبة القتل الخطأ قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء : ٩٢] . . وقد بين رسول الله ﷺ المقصود بالقتل الخطأ، كما وضع أساسه للعقوبة فقال : **«ألا وإن قتيل خطأ العمد قتيل السوط والعصا فيه مائة من الإبل»**[(١)] .

---

(١) أخرجه : أبو داود (٤٥٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧٩١)، وابن ماجه (٢٦٢٧) عن عبدالله بن عمرو، وصححه ابن حبان (٦٠١١) .

ويحضرني مثل آخر بشأن عقوبة المرتد عن دينه فقد قال الله تعالى بشأن المرتد: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال رسول الله ﷺ بشأن عقوبة المرتد: **«من بدل دينه فاقتلوه»**(١).

ولنخرج من دائرة العقوبات وما يتصل بها إلى دوائر أخرى لنلمس على الطبيعة كيف تفسر الأحاديث ما ورد في كتاب الله وتبسطه للناس لنستمع إلى سيدنا أبي بكر الصديق وهو يخطب في جمع الصحابة قال لهم: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده»**(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] هذا ما قاله الله في شأن رسالة رسول الله ﷺ، وفي لزوم اتباع أوامر الرسول ﷺ ونواهيه، ثم يأتي الحديث بعد ذلك ليفسر لنا هذا المفهوم، ففي حديث متفق عليه

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٠١٧) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥) عن أبي بكر رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٣٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رواه أبو هريرة قال: إن الرسول ﷺ قال: **«إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى** -قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**(٢).

وتبين هذه القصة كيف كان رسول الله ﷺ يفسر القرآن.. قال أبو هريرة رضي الله عنه: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»**، فلما اقترأها القوم، وزلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في أثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى

(١) أخرجه: البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، به.
(٢) أخرجه: البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة.

فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ثم قال الرسول ﷺ: «نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾»، قال: «نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾»، قال: «نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: نعم»[1].

ومثال أخير عن تفسير الرسول ﷺ للقرآن لنسمعه من ابن عباس وهو يحدثنا قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤] **ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ﷺ، ألا وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾** [المائدة: ١١٧] -إلى قوله-: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] **فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»[2] متفق عليه.

* * *

(١) أخرجه: مسلم (١٢٥) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه: البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث

النسخ : هو الإلغاء ، أي إلغاء حكم بحكم آخر ، فيحتل الجديد مكان الحكم القديم ، وقد ورد النسخ في القرآن الكريم فإن الله تعالى يقول : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

هذا هو الوضع بالنسبة للقرآن الكريم ، فهل ينطبق هذا الوضع بالنسبة لأحاديث النبي ﷺ؟ أي هل تنسخ السنن والأحاديث النبوية سننًا وأحاديث سبقتها ، شأنها في ذلك شأن القرآن؟

الجواب على هذا السؤال بالإيجاب لأن الحديث النبوي يسير على نفس طريق القرآن في كل شيء ، ولا يخرج عنه . . ولسوف نذكر من الأمثال ما يؤكد هذا .

ولنضرب ولو مثلًا واحدًا من القرآن لآية نسخت آية أخرى ، واحتل حكم الآية الجديدة حكم الآية القديمة .

قال الله تعالى في الميراث : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، هذه الآية كان يفهم منها أن للمتوفى أن يوصي قبل موته لوالديه أو لأقاربه بالمعروف دون قيد أو شرط ، ثم أنزل الله بعد ذلك قواعد توزيع التركات : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] ، فاحتل حكم الآية الثانية مكان حكم الآية الأولى ووجب العمل بها .

ولنضرب مثلًا للنسخ بالنسبة لحديث الرسول . . قال رسول الله ﷺ لأصحابه : **«كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالحياة الآخرة»**[١] هذا الحديث يفهم منه أن النبي ﷺ كان قد أمرهم من قبل بعدم زيارة القبور ، إلا إنه عدل عن هذا النهي وأباح زيارتها .

ومثل آخر نسوقه ليوضح المقصود بالناسخ والمنسوخ في الأحاديث ، فقد نصح رسول الله ﷺ أهل المدينة بعدم ادخار لحوم الأضاحي ، ثم عدل بعد ذلك عن هذا النهي فقال : **«كنت قد نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي لأجل الدافة ألا فادخروها»**[٢] .

ولهذا الحديث قصة قد تعيننا على فهم المقصود بالنسخ في الحديث النبوي ، فيحكى أنه كان من عادة أهل المدينة ادخار لحوم الأضاحي وفي إحدى السنين زار المدينة وفد من المسلمين فوجد الرسول أن من واجب الضيافة إكرام الضيوف والتوسعة عليهم ، فنصح أصحابه بعدم ادخار لحوم الأضاحي ؛ لإكرام ضيوفه فلما رحلوا عن المدينة أباح لهم ادخار لحوم الأضاحي وصار من حقهم ادخارها ، واستمر هذا الوضع بعد ذلك .

وكما أن النسخ في القرآن الكريم لا يتناول كل آيات القرآن فإن النسخ في الأحاديث لا يتناول كل أحاديث النبي ﷺ .

فمثلًا كل آيات القرآن والأحاديث النبوية التي تتصل بالعقيدة والإيمان والأخلاق لا يمكن نسخها . . فمثلًا لا ينسخ قول الله ﴿ءَامَنَ

(١) أخرجه : مسلم (٩٧٧) من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه : مسلم (١٩٧١) عن عبدالله بن واقد .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] هذه الآية لا يمكن نسخها.. ومن أحاديث الرسول التي لا يمكن نسخها قول الرسول ﷺ: **«الجهاد ماض إلى يوم القيامة»**[(١)]، وما نصح به أعرابيًّا فقال له: **«قل آمنت بالله ثم استقم»**[(٢)]، فمثل هذه الآحاديث لا يمكن أن تنسخ، لأنها تتصل بالعقيدة أو بالأخلاق وهي أمور لا تخضع للتغيير أو الإلغاء.

وسؤال أخير يهمنا الإجابة عنه.. هل بالإمكان نسخ آيات من القرآن أو أحاديث نبوية في عصرنا هذا؟

الجواب على هذا بالنفي لأن القرآن قد أنزل بكامل أحكامه من عند الله فلا يعقل أن ينسخ أحكامه بشر مهما كانت قدرته، وبالنسبة للحديث النبوي فلا يمكن نسخه إلا في حياة الرسول ﷺ ولأنه لا رسول ولا نبي بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) أخرجه: أبو داود (٢٥٣٢).
(٢) أخرجه: مسلم (٣٨).

ويضحك ويرضى ويكره ويحب، قال: نحن نؤمن بها ونصدق بها لا بكيف ولا معنى، بمعنى أننا نؤمن بأن الله ينزل ويرى، وهو فوق عرشه بائن عن خلقه، ولكن لا نعلم كيفية النزول ولا الرؤية ولا الاستواء، ولا المعنى الحقيقي لذلك، بل نفوض الأمر في علم ذلك إلى الله قائله، وموحيه إلى نبيه ﷺ، ولا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله بلا حد ولا غاية، ونحن نعلم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ويأتي بعد ذلك الإيمان بالقرآن، والكتب السماوية التي سبقته، وأظننا ذكرنا الكثير من الآيات والأحاديث بهذا الشأن.. ثم الإيمان بالرسل، وبرسول الله محمد ﷺ، وفي هذا وردت عشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتؤكد ضرورة الإيمان بالرسل جميعًا حتى يصح الإيمان.

الإيمان بالرسل:

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وماذا عن الأحاديث التي تتفق مع هذه الآية؟

لقد أكد رسول الله ﷺ على أصحابه أن الأنبياء أخوة في الدين تجمعهم رابطة واحدة وأن التفريق بينهم لا يتفق مع أصول الدعوة الواحدة.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، قال:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«ادعه»، فقال له: «أضربته»، قال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث على محمد ﷺ!! فأخذتني غضبة فضربت وجهه، فقال النبي ﷺ: **«لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من ينشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بالصعقة الأولى»**(١).

وسنقف قليلًا عند قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فماذا يعني هذا التفضيل؟ قال البعض: إن هذه المفاضلة ليست إلى الخلق ولكنها إلى الخالق، وقال المفسر المشهور الفخر الرازي في كتابه «مفاتيح الغيب»: أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أن محمدًا ﷺ أفضل من الكل.

وهناك شواهد من القرآن والحديث تكشف لنا عن صورة المفاضلة.. يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي هذا يقول الرسول عن نفسه: **«وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري. ورواية مسلم مختصرة.

(٢) أخرجه: البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ويقول الله : ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر : ٨٩] .

ويقول الرسول : **«إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاة فأطاعه طائفة من قومه ، فأولجوا على مهلتهم ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا أماكنهم ، فصبحهم الجيش واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به من الحق ، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»**[١] النذير العريان : يعني أن الرجل كان إذا أراد أن ينذر قومه نزع ثوبه وأشار به .

وقال الله في تحديد شخصية رسوله : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] .

ويقول الرسول في هذا المعنى : **«إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»**[٢] .

ويقول الله في موضع آخر : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

ويوافق الرسول على هذا التحديد فيقول : **«إن الرسالة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي»**[٣] .

---

(١) أخرجه : البخاري (٧٢٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٣) عن أبي موسى .

(٢) أخرجه : أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٨) عن العرباض بن سارية ، وصححه ابن حبان «٦٤٠٤» .

(٣) أخرجه : الترمذي (٢٢٧٢) عن أنس بن مالك . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح غريب» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإيمان بالملائكة :

ورد الإيمان بالملائكة في القرآن الكريم في كثير من المواضع ، وهو شرط من شروط صحة الإيمان ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

كما ورد التحذير من الكفر بالملائكة أو معاداتهم وقال الله في هذا : ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٩٨] .

ولقد أكد الرسول هذا الإيمان في الكثير من المواقف ، ومن أدعيته المشهورة قوله ﷺ : **«اللهم رب جبريل ، وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**(١) .

وهناك توافق في الآيات والأحاديث حول خلق الملائكة وحول مهمتهم في الأرض ، وبين الناس ، يقول الله تعالى في هذا الشأن : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق : ١٧] ، ويقول في موضع آخر : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد : ١١] ، ويوضح الرسول دور الملائكة في المراقبة : **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»**(٢) .

* * *

(١) أخرجه : مسلم (٧٧٠) .

(٢) أخرجه : البخاري (٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة .

ثانيًا: التوافق بين القرآن والحديث في العبادات

الصلاة:

قال الله تعالى في الصلاة وتوقيتها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ويقول الرسول ما قاله الله في حديث مسهب: **«خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن لم يضيع منهن شيئًا، استخفافًا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»**(١).

ومثل آخر عن كيفية الصلاة قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أي القيام بالصلاة للقادر عليها.. ويوضح لنا الرسول معنى القيام فيوصي أحد أصحابه: **«صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنب»**(٢).

وعن التسبيح في الصلاة يقول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، ويقول الرسول: **«اجعلوها** -أي: التسبيح- **في ركوعكم»**، ويقول الله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ويقول الرسول: **«اجعلوها في سجودكم»**(٣).

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٤٢٠)، والنسائي في «المجتبى» (٤٦١)، وابن ماجه (١٤٠١) عن عبادة بن الصامت، وصححه ابن حبان (١٧٣٢).

(٢) أخرجه: البخاري (١١١٧) عن عمران بن حصين.

(٣) أخرجه: أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧) عن عقبة بن عامر. وصححه ابن خزيمة (٦٧٠)، وابن حبان (١٨٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الزكاة:

يقول الله في الزكاة : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

أما عن قول الرسول في شأن الزكاة فيروي لنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجل النبي ﷺ وقال له : يا رسول الله إني ذو مال كثير ، وذو أهل ومال حاضر ، فأخبرني كيف أصنع ، وكيف أنفق؟ فقال له رسول الله ﷺ : **«تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق المسكين والجار والسائل»**[(١)] ، ونلاحظ أن الغاية من الزكاة تكاد تذكر بلفظها –الطهر– في القرآن وفي حديث الرسول .

ويقول الله تعالى في موضع آخر : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة : ١٠٤] .

وبنفس المفهوم يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : **«إن الله ﷻ يقبل الصدقات ، ويأخذها بيمينه ، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره أو فلوه أو فصيله ، حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أحد»**[(٢)] .

يقول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

---

(١) أخرجه : أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٦) عن أنس . وصححه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦٠) .

(٢) أخرجه : البخاري (١٤١٠) ، ومسلم (١٠١٤) عن أبي هريرة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا . .»
وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧][1] .

* * *

(١) أخرجه : الترمذي (٨١٢) عن علي ﷺ . قال الترمذي : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا : التوافق بين القرآن والحديث في كل القضايا

الجهاد :

تناولت الآيات والأحاديث موضوع الجهاد في سبيل الله تفصيلًا ، فذكرت الغرض من الجهاد ، وكيفيته ومشروعيته ، ولسوف نكتفي بذكر مكانة المجاهدين في سبيل الله .

قال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

ويحدثنا رسول الله عليه الصلاة والسلام في حديث جامع عن المجاهدين قال : « . . . **والذي نفس محمد بيده ، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلمه اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، والذي نفس محمد بيده ، لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل**»[1] .

المساواة بين الناس :

يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ

(١) أخرجه : البخاري (٢٣٧) ، ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة بنحوه .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول الرسول في هذا المعنى: **«يا معشر قريش لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا..»**[١] وينهى الرسول عن الإفراط في التبجيل والإكرام فيقول: **«من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»**[٢]، ويبين القرآن والحديث النبوي أن المفاضلة بين الناس لا تكون إلا على أساس العمل فقط.

يقول الله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وكان رسول الله يوصي ابنته وحبيبته فاطمة فيقول لها: **«يا فاطمة، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا»**[٣].

ومع حبه لفاطمة فإنه قال حكمته المشهورة: **«لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها»**[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه: أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) عن معاوية رضي الله عنه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٣) تقدم.

(٤) أخرجه: البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علاقة الحكم بالمحكوم:

يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء : ٥٩] .

ويوضح الرسول مفهوم هذه الطاعة فيوصي المؤمنين قائلًا : **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**(١) .

وعن الحكم بالشورى يقول الله تعالى : ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى : ٣٨] ، ولقد التزم رسول الله بالشورى فرجع إلى أصحابه يشاورهم في السلم والحرب . . شاورهم في موقعة بدر وموقعة أحد وفي حفر الخندق ، كما شاورهم في الأسرى وكان يقول لهم : **«أشيروا عليَّ أيها الناس»**(٢) .

وعن عدل الحاكم يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء : ٥٨] .

ويقول رسول الله ﷺ في حديث مشهور : **«إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة ، وأقربهم منه مجلسًا ، إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابًا إمام جائر»**(٣) .

---

(١) أخرجه : البخاري (٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) عن ابن عمر .

(٢) أخرج البخاري (٤١٧٩) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مشورته ﷺ في عام الحديبية .

(٣) أخرجه : أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢) ، والترمذي (١٣٢٩) عن أبي سعيد الخدري . قال الترمذي : «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وفي نفس المعنى، وعن بني إسرائيل يحدثنا رسول الله ﷺ قائلًا: **«أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض** - ثم تلا قول الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾، **ثم** قال رسول الله ﷺ -: **كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو لتقصرنه على الحق قصرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»**[1].

ذكر الله:

ورد ذكر الله في القرآن في كثير من الآيات، وكذلك أسهبت الأحاديث النبوية في معنى الذكر وفي كيفيته.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٣٣٧)، والترمذي (٣٠٤٧)، وابن ماجه عقب (٤٠٠٦) عن ابن مسعود، بنحوه. قال الترمذي: «حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبدالله عن النبي ﷺ نحوه، وبعضهم يقول: عن أبي عبيدة عن النبي ﷺ مرسل».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول الله تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، ويقول : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، ويقول عن الذاكرين : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور : ٣٧] .

ومن جوامع كلام رسول الله ﷺ حديثه عن الذكر ، وعن مكانة الذاكرين : **«إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإن وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم فيحفون بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ، يقولون : يسبحونك ، فيقول :هل رأوني؟ يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد تمجيدًا وأكثر تسبيحًا** - قال الرسول ﷺ- : **يقول الله : فما يسألوني؟ قالوا : يسألونك الجنة ، يقول : وهل رأوها؟ يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، يقول : كيف لو أنهم رأوها؟ يقولون : كانوا أشد عليها حرصًا ، وأشد لها طلبًا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون؟ يقولون : من النار ، فيقول : وهل رأوها؟ يقولون : لا والله يا رب ما رأوها؟ يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة ، فيقول : فأشهدكم إني قد غفرت لهم . .** - يقول الرسول ﷺ- : **يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة ، قال الله : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»**[1] .

(١) أخرجه : البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) عن أبي هريرة .

الرحمة:

من صفات الله تعالى أنه رحمن رحيم، وكلما ذكرنا البسملة تذكرنا هاتين الصفتين.. وقد قال الله تعالى عن رحمته: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وجاء في الحديث القدسي: **«ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا..»**[١].

وقد وصف الله رسوله بأنه رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ووصف الرسول نفسه بقوله: **«إنما أنا رحمة مهداة»**[٢].

ونذكر هذا الحوار البسيط الذي يوضح مفهوم الرحمة عند الرسول عليه الصلاةوالسلام، قال لأصحابه ذات يوم: **«لن تؤمنوا حتى تراحموا»**.

فقالوا له: يا رسول الله كلنا رحيم.

فقال عليه الصلاة والسلام: **«إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة»**[٣].

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه: الطبراني في «الأوسط» (٢٩٨١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما. وقال الذهبي في «التلخيص»: على شرطهما، وتفرد الثقة مقبول. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٤٦١): رواه البزار والطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٣) أخرجه: الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٧) عن أبي موسى وصححه. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٤٠) وقال: «رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأسرة:

وضعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أساس الأسرة السليمة وحددت مسئولية الآباء والأبناء عن أسرهم .

قال الله تعالى عن مسئولية رب الأسرة : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم : ٥٤ ، ٥٥] .

وفي موضع آخر يحذرنا الله من التفريط في حق الأسرة فيقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦] .

وللرسول ﷺ حديث مطول عن الأسرة يقول فيه : **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته»**(١) ، ومن قصار أحاديثه عن التربية قال : **«الزموا أولادكم وأحسنوا تربيتهم»**(٢) .

وعن البر بالوالدين نذكر بعضًا مما ورد في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله ﷺ . . ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان : ١٤] .

---

(١) أخرجه : البخاري (٨٩٣) ، ومسلم (١٨٢٩) عن ابن عمر .

(٢) أخرجه : ابن ماجه (٣٦٧١) ، والخطيب في التاريخ (٨/ ٢٨٨) وغيرهما عن أنس .

وبلغ حرص الإسلام على بر الوالدين أنه أوصى حتى ببر الوالدين المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

ويوصي الرسول في مواضع كثيرة بالبر بالوالدين، ويؤثر الأمهات على الآباء بهذا البر فقال لشاب جاء يشكو من كثرة مطالب أبويه: **«أنت ومالك لأبيك»**[(١)] وبأسلوب رفيع، وبلاغة عالية قال رسول الله ﷺ: **«رغم أنف من كان له أبوان شيخان كبيران ولم يدخل الجنة»**[(٢)].

آداب عامة:

ومن الآداب العامة التي دونتها آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ نذكر ولو مثلًا واحدًا وهو يتعلق بآداب الحديث.

يقول الله تعالى عن آداب الحديث، والنهي عن اللغو: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

---

(١) أخرجه: أبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، مرفوعًا، بنحوه. وصححه ابن الجارود في «المنتقى» (٩٩٥)، وقال ابن حجر: «حديث مشهور». وانظر «كشف الخفا» (٦٢٨).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٤٥) عن أبي هريرة. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وصححه ابن خزيمة (١٨٨٨)، وابن حبان (٩٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ويقول الرسول ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**(١).

وعندما سأله معاذ بن جبل: أكل ما نتكلم به يكتب علينا؟ قال له الرسول: **«ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، إنك لن تزال سالمًا ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك»**(٢).

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) عن معاذ بن جبل، وصححه ابن حبان (٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٢-٤١٣).

التوافق في أسلوب التبليغ

لقد استوعب الرسول ﷺ القرآن استيعابًا كاملًا، وعاش به ومعه، وسلك كل سبيل سلكه القرآن.. وحتى يصل الناس بالقرآن أخذ بكل الوسائل الإيضاحية التي اتخذها القرآن ليسير على الناس فهمه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

فالقرآن الكريم أخذ بالتوجيه المباشر في مواقف يقتضيها التوجيه الآمر أو الناهي، وكذلك فعل الرسول ﷺ، والقرآن أخذ بالتوجيه غير المباشر في مواقف كثيرة، وكذلك فعل الرسول ﷺ، والقرآن أخذ بالأمثال، والتشبيهات والقصص وكذلك فعل الرسول.

ولسوف نذكر شواهد من القرآن والحديث لنوضح هذا المفهوم.

نذكر بعضًا من الآيات والأحاديث التي أخذت بالتوجيه المباشر.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: **«لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى بن مريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله»**[١]، ويقول: **«أيها الناس من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[٢].

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٤٤٥) عن ابن عمر.

(٢) أخرجه: مسلم (٤٩) من حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذان المثلان بالنسبة للتوجيه المباشر ، ولنذكر مثلهما في التوجيه غير المباشر .

يقول الله تعالى في صفات المؤمنين ، ليستحث الناس ليكونوا أمثالهم : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان : ٦٣ ، ٦٤] .

يقول الرسول في شأن المؤمنين : **«عجبًا لأمر المؤمن وإن أمره كله عجب إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ،وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»**(١) .

ويقول الله تعالى في موضع آخر : ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٤] .

وبنفس الأسلوب غير المباشر في التوجيه يقول الرسول في مثل هذا المعنى : **«طوبى لمن ملك لسانه ،ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته»**(٢) .

وضرب الله الأمثال للناس ليوضح لهم المطلوب منهم مثل قوله : ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم : ٢٤] ، وضرب الرسول الأمثال لإيضاح المقصود ، ومن أشهر أحاديثه :

---

(١) أخرجه : مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب .

(٢) أخرجه : الطبراني في «الأوسط» (٢٣٤٠) ، وفي «الصغير» (٥٤٨) عن ثوبان . قال الطبراني : «لا يروى هذا الحديث عن ثوبان إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عيسى» . قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٩٩) : «رواه الطبراني في الأوسط والصغير وحسن إسناده» .

«مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[١].

وأخذ القرآن، الكريم بالتشبيهات ليوضح للناس القضايا الهامة كقضية البعث بعد الموت.

من ذلك قصة سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومن تشبيهات الرسول ﷺ ما رواه لنا ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا مربعًا، وخط وسطه خطًا، وخط خطوطًا إلى جنب وقال: **«أتدرون ما هذا؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«هذا الإنسان»** عن الخط الذي في الوسط، **«وهذا الأجل يحيط به»** يريد الخط المربع، **«وهذه الأعراض تنهشه»** يشير إلى الخطوط التي حوله، **«إن أخطأه هذا نهشه هذا، وهذا الأمل»**[٢] يعني الخط الخارج.

ومن تشبيهات الرسول المشهورة أنه قال وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى: **«بعثت أنا والساعة كهاتين»**[٣].

ومن التشبيهات المصورة نذكر ما ورد في سورة المطففين: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، مرفوعًا، به.

(٢) أخرجه: البخاري (٦٤١٧) عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه: البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) عن أنس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويسوق الرسول عليه الصلاة والسلام تشبيهًا مصورًا يوضح به معنى الرين فيقول : **«إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كان نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تغلق قلبه ، فذلك الران الذي قال الله : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»**(١) .

ومن تشبيهات الرسول المشهورة التي تحث على وحدة المسلمين وتناصحهم قوله : **«مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذي في أسفلها ، إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا خرقًا في نصيبنا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أردوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**(٢) .

والتشبيه الذي أورده القرآن في مثل هذا المعنى : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

وعلى طريق القرآن كان الرسول ﷺ يدير المناقشة والحوار مع أصحابه نذكر على سبيل المثال المناقشة والحوار الذي جرى بينه وبين سيدنا جبريل عليه السلام وكان ذلك على مشهد من أصحابه ، وقد تمثل له جبريل عليه السلام في صورة إنسان ، وسأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والساعة ، وكان الرسول ﷺ يجيب وجبريل عليه السلام يقول له : صدقت ، فلما فرغ من المناقشة وانصرف قال الرسول ﷺ لأصحابه : **«هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»**(٣) .

---

(١) أخرجه : الترمذي (٣٣٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٤٤) ، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٧) عن أبي هريرة . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٢) أخرجه : البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه : البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة . وانفرد به مسلم (٨) من حديث عمر .

وقد نهج الرسول ﷺ منهج القرآن الكريم في القصص فكان يروي لأصحابه قصصًا من الماضي ليوضح لهم المغزى من هذه القصص .

فبالنسبة للقرآن الكريم فإن القصص حظيت بجانب كبير فيه ، وكانت قصصًا واقعية وهادفة . . ومن أشهر القصص قصة سيدنا إبراهيم وذريته ، وقصة مريم والمسيح ، وقصة سيدنا يوسف والتي احتلت سورة بكاملها . . وما من قصة إلا وذكرت العبرة والعظة المأخوذة عنها .

ولقد كانت قصص القرآن ، خير معين للرسول ﷺ في تبليغ دعوته ، خاصة وأن هذه القصص كانت موجودة في الكتب السماوية التي سبقته .

ولقد استعان الرسول بقصص أخرى كان يرويها على أصحابه ويوضح لهم العبرة والحكمة منها .

ولنذكر على سبيل المثال قصة قصيرة وهي قصة سد مأرب ، لقد وقعت أحداث هذه القصة في اليمن ، في عهد الدولة السبئية ، نسبة إلى «سبأ بن يشجب» هذا السد بني من الصخر والقار ، وكان الغرض من بنائه حجز مياه السيول عن المدن والقرى ، وكان السد آية في الفن المعماري ، فقد بني بين جبلين ضيقين ، وأقيمت له بوابات علوية وبوابات سفلية تتحكم في تدفق المياه .

هذه هي قصة بناء السد ، أما عن نهايته فقد جاءت نتيجة لإهماله ، وتركه دون صيانته ، فتدفقت منه المياه على المدن والقرى وأغرقتها ، وكان من نتيجة ذلك تهدم القرى وهجرة أبنائها وتشتتهم في الجزيرة العربية ، وتفرق شملهم ، وأما عن تاريخ هذه الكارثة فيقال إنها وقعت في الفترة ما بين بعثة سيدنا المسيح وسيدنا الرسول محمد عليهما السلام ، وقد ورد ذكر هذه القصة في قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ : ١٥-١٧] .

هذه القصة القصيرة تدعو الناس إلى المزيد من الإيمان ، والمزيد من العمل والحرص ، وتحذرهم من الإعراض عن الله ومن الإهمال والتراخي .

ولقد أخذ الرسول ﷺ بأسلوب القصص الواقعي ، ليعطي من خلاله الحكمة والموعظة ، نذكر قصتين قصيرتين من قصص الرسول ﷺ .

يروي لنا رسول الله هذه القصة : اشترى رجل من رجل عقارًا ، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك ، إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر الذهب ، وقال الذي له الأرض : إنما بعتك الأرض وما عليها ، فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد؟ قال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية ، قال : أنكحا الغلام الجارية ، وأنفقا على أنفسهما منها فانصرفا .

ويروي لنا الرسول قصة أخرى قال : **«كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكما إلى داود ﷺ ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام ، فأخبرتاه ، فقال : ائتوني أشقه بينكما ، فقالت الصغرى : لا تفعل رحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى»**[1] .

(١) أخرجه : البخاري (٦٧٦٩) ، ومسلم (١٧٢٠) عن أبي هريرة .

والسؤال الأخير: كل أقوال الرسول وأفعاله مُلزمة؟!

هذا السؤال الذي سنختم به بحثنا يحتاج لمقدمة عن نوعيات أحاديث الرسول وأفعاله، وبعدها يمكننا أن نجيب على السؤال المطروح.

أحاديث الرسول وأقواله أنواع نذكر منها:

أولًا: ما صدر عن رسول الله ﷺ باعتباره بشر كان يأكل ويشرب وينام هذه الأعمال ليست مَلزمة لأنها ليست من العقيدة أو الشريعة، ولكن هذا لا يمنع من الاقتداء به والأخذ عنه حبًّا في الرسول ﷺ، وحرصًا على التأسي به.

ثانيًا: بعض أفعال الرسول ﷺ التي صدرت عنه وقام الدليل على أنها من خصائصه كرسول، ولا يشاركه فيها أحد من الناس، والمؤمن غير مطالب بالأخذ بها كالزواج بأكثر من أربع، والوصال في الصوم.

ثالثًا: وهناك أفعال صدرت عن الرسول ﷺ ناتجة عن اجتهاد منه في أمور الدنيا كالتجارة، والزراعة، والحرب، هذه الأمور كانت تصدر عن اجتهاد من الرسول ﷺ، وكانت تعتمد على الخبرة والتجربة من ذلك أنه نصح بعدم تأبير النخل بطريقة خاصة فتساقط البلح فقال لهم الرسول ﷺ: **«أنتم أعلم بشئون دنياكم»**[1]، ومثل آخر عندما كان في موقعة بدر وكان من رأيه أن يعسكر الجيش في موقع معين وكان لبعض الصحابة رأي آخر فقالوا له: أهذا منزل أنزلكه الله، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال لهم: **«بل هو الرأي**

(١) أخرجه: مسلم (٢٣٦٣) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحرب والمكيدة»[١] ثم أشاروا عليه بأن يعسكر في موقع آخر فاستجاب لمشورتهم .

هذا الاجتهاد لا يعد ملزمًا ، ولا تشريعًا .

أما الأفعال والأقوال التي صدرت عن رسول الله ﷺ بحكم مهمته ورسالته وهي التي تتعلق بالعقيدة ، والعبادة ، والتشريع ، وما يفهم منه أنه صادر عن الرسول ﷺ بصفته رسولًا فهي ملزمة ، ولا يجوز بأي حال الإعراض عنها ، من ذلك قوله : **«خذوا عني مناسككم»**[٢] فيجب الأخذ بالمناسك التي ذكرها ، أو قوله : **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[٣] فيجب الالتزام بكل ما فعله وقاله في الصلاة .

بقيت كلمة في هذا الشأن عن خصائص النبي ﷺ ، وهل هي ملزمة للناس؟

سيتضح الجواب من خلال حديث لرسول الله ﷺ عن خصائصه ، قال رسول الله ﷺ : **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب على مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وترابها طهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة»**[٤] .

---

(١) أخرجه : الطبري في «التاريخ» (٢/ ٢٩) عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن رجال من بني سلمة . وانظر «السيرة» لابن هشام (٣/ ١٦٧) .

(٢) أخرجه : مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) تقدم .

(٤) أخرجه : البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) عن جابر .

ولقد ذكر الإمام السيوطي أنه عدد خصائص النبي ﷺ فوجدها تتجاوز المائتين، ومن أهم هذه الخصائص والتي استقاها من أحاديث نبوية ما رواه عن رسول الله ﷺ: **«أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**[١]**، وكان شيطاني كافرًا فأعانني الله تعالى عليه فأسلم»**[٢].

هذه الخصائص تعد منحًا خاصة للنبي ﷺ آثره ربه بها، وليس لإنسان أن يطالب بمثلها، كما أنها لا تلزم الآخرين بالعمل بها، إلا ما أوصى النبي ﷺ بالعمل بها كقوله: **«فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل»**[٣].

* * *

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠١، ٣٩٥) عن أبي هريرة. وأصله عند البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٢) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٦٩) عن أبي هريرة. قال الهيثمي: «رواه البزار وفيه إبراهيم بن صرمة وهو ضعيف» وهو عند مسلم (٢٨١٤) عن ابن مسعود بمعناه.

(٣) أخرجه: البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلاصة الحديث

خلاصة البحث أن الرسول ﷺ كان يدور في فلك القرآن الكريم ولا يتعداه ، وأنه كان يعيش بالقرآن ، يتغذى منه ، ويتأدب بأدبه ، ويأتمر بأمره ، ويحتكم إليه ، ويحكم به ، ويسالم ويحارب به . . . وقد لازمته آيات القرآن في كل موقع من مواقع الحياة .

وبعد أن ارتوى قلبه وعقله بالقرآن عمل على نقله للناس جميعًا ، نقله بألفاظه وبمعانيه ، وشرحه ، وإيضاحه لهم ، مع تطبيقه بحذافيره . . . وهذا يقتضي منه أن يتكلم وأن يعمل . . . فكان حديثه وعمله «كالمذكرة التفسيرية» التي تلحق بالقانون . . وهي ملزمة شأنها شأن القانون . . ولقد أعجبني السيوطي وهو يفسر لنا دور كلام الرسول من كلام الله فيقول : إن السنة مبينة للقرآن ، ومفصلة لمجملاته ، لأن في القرآن ، كنوزًا تحتاج لمن يعرف خفاياها ، وخباياها ليبرزها . . ثم يقول : إن السنة مبينة للقرآن وليس القرآن ، مبينًا للسنة ؛ لأن السنة بينة بنفسها ، إذ لم تصل إلى حد القرآن في الإعجاز والإيجاز لأنها شرح له وشأن الشرح أن يكون أبين وأوضح من المشروح .

وبالتالي فقد اجتمعت آيات القرآن وأحاديث الرسول وسنته لتشكل العقيدة المتكاملة ،و كل قول بغير هذا يشكل خروجًا عن الدين ولقد حسم الله هذا الأمر في عشرات الآيات كما رددها الرسول ﷺ في جميع مواقفه .

قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وقال رسول الله ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنتي»**[١].

كما طلب الله من رسوله أن يبلغ رسالته للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فقام بتبليغها إليهم على أفضل وجه.

وأشهد الرسول على هذا من فوق جبل عرفة قبل موته بثمانين يومًا حين قال: **«اللهم قد بلغت اللهم فاشهد»**[١].

ولقد أوصى الرسول الناس أن يحفظوا أقواله ويبلغوها للناس فقال: **«نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها»**[١].

فالفهم الصحيح للعقيدة يدعونا للإيمان بما أنزل على الرسول ﷺ وبما قاله وفعله الرسول ﷺ.

قد يقول البعض: إن الله قد حفظ لنا القرآن، فهو بكل آياته كما نزل من أربعة عشر قرنًا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولكن الحديث لم يحظ بهذا الحفظ.

نقول: إنه من خلال بحثنا كشفنا في إيجاز عن مدى الجهود التي بذلت ليصل إلينا حديث رسول الله ﷺ معافى سليمًا، فيكفينا أن يكون رواته الأول، أعظم الرجال وأصدقهم وأكثرهم ملازمة لرسول الله ﷺ كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ثم رواه علماء أفذاذ كالبخاري ومسلم.

---

(١) تقدم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن هذه الجهود من هؤلاء الرجال تثير الاطمئنان في النفوس .

ثم هناك ضابط يريح نفوسنا ، وهو أن أحاديث الرسول ﷺ لم تتعد دائرة القرآن ، وكما أوضحنا فإنها كانت تبين وتفسر وتشرح ، وتفصل آيات القرآن . . وحتى الأحاديث التي أضافت أحكامًا لم تخرج عن هذه الدائرة ، ثم إنها أخذت شرعيتها من القرآن نفسه حين ألزم الله الناس باتباع الرسول في كل شيء ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

والحكمة المستخلصة من البحث ، والتي نرجو أن نكثر من التأمل فيها ، هي أن القرآن نزل أول ما نزل على قلب رسول الله ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] قبل أن يدون في الورق . . وقام الرسول ﷺ بنقله للناس من قلبه إلى قلوبنا ، فلنشرح به صدورنا وقلوبنا ، وننير به عقولنا ونكرر قول الله ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح : ١-٨] .

وبكل حب نستمع إلى ذكر ربنا وتوجيهه لنا بشأن رسوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وقوله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

ونختم بحثنا بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : **«ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني ، وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه ، وماوجدنا فيه حرامًا حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله كما حرمه الله»**[1] .

* * *

(١) تقدم .

القسم الثالث

ما الإسلام؟

الأعمدة الخمسة
التي بُني عليها الإسلام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأعمدة الخمسة
التي بني عليها بيت الإسلام

بني الإسلام على خمس :

- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ .
- وإقام الصلاة .
- وإيتاء الزكاة .
- وصوم رمضان .
- وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا .

لقد أشاد الله للإنسانية بناء خالدًا ، وأقامه على أعمدة راسخة ، ثم دعا الناس ليسكنوه ، وينعموا بالعيش فيه ، ويعمروه بالحب والخير والعدل .

هذا البناء يقوم على خمسة أعمدة صلبة ، لا تؤثر فيها عوامل البلى ، ولا تنال منها معاول الهدم . . لأن من صفاتها الخلود فهي ملازمة للحياة . . وملازمة للوجود .

والأعمدة الخمسة يتوسطها عمود ضخم كبير ، وتدور حوله بقية الأعمدة في تناسق دقيق .

والإنسان الذي ينشد السكن الآمن ، والسلام والنجاة عليه أن يدخل البيت الكبير ويتشبث بكل أعمدته بادئًا بالعمود الكبير . . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ .

العمود الأول:

لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ

يقوم العمود الأول على دعامتين:

- لا إله إلا الله . .
- محمد رسول الله . .

لقد أمر الله الناس عن طريق رسله وأنبيائه بالإيمان به واحدًا فردًا ورفض أي لون من ألوان الشرك . . ووجه الرسل والأنبياء من عهد نوح إلى محمد لينادوا في الناس بالإيمان.

لقد نادى الله أمة نوح عن نوح قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ثم تأتي أمة عاد فيناديهم بنداء نبيهم هود وهو نفس نداء نوح: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥].

ثم تأتي أمة ثمود فيناديهم الله عن صالح، وهو نفس النداء: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وتأتي أمة إبراهيم ويسمعهم نداء مماثلًا في المعنى، وإن اختلف في اللفظ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩].

ثم يأتي قوم لوط فيقول الله تعالى عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦١-١٦٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويخاطب شعيب أهل مدين بنداء مماثل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

ثم يكون موسى، والذي يتصدى لكفر وشرك فرعون فيعلنه بالإيمان: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤].

وينادي المسيح في قومه بنداء الإيمان يقول الله عنه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢].

ويأتي البشير ويعلن الناس جميعًا بكلمة الإيمان: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

ويأبى الله إلا أن يطلق اسمًا على هذا البناء الكبير، حتى لا يختلط الأمر على الناس.. فيلقن هذا الاسم لجميع رسله وأنبيائه، والاسم هو الإسلام.

فيقول الله ﷻ عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

ويقول عن إبراهيم: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١].

وقال عن يوسف: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال عن موسى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال عن المسيح : ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

ويكون الإعلان المباشر لمحمد ومن معه ومن يمضي على طريقه : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

ثم يكون النداء الأخير : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] .

وحتى يتأكد الإيمان في قلوبنا ، ويمتزج بحياتنا . . اختار الله له رجالًا طهرهم وزكاهم وأدبهم على يديه ، ثم جعل منهم لبنات لهذا البناء الكبير . . . ثم طلب منا أن نعيش في كنف هؤلاء الأنبياء ، ونتتلمذ على أيديهم ، ونصاحب حياتهم ، ونبصر الإيمان بالله فيهم ، فيسهل علينا سبيل الإيمان . . فلتكن لنا جولة مع التاريخ نقترب فيها من أصحاب العزم من الرسل فتقرأ فيهم وبهم الإيمان بالله .

- لتكن لنا ساعة مع إيمان إبراهيم .
- وساعة مع إيمان موسى .
- وساعة مع إيمان عيسى .
- ثم لتكن الساعة الأخيرة مع إيمان محمد .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع إبراهيم:

كان الدرس الأول لإبراهيم، دعوة للتأمل والتفكير ليصل به إلى الإيمان الحق، قال له الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

فبالفطرة بدأت قصة إبراهيم، وبالفطرة وصل إبراهيم إلى حقيقة الإيمان، ثم واجه بإيمانه الكلدانيين بما فيهم أبوه آزر ورفض الإشراك بالله بكل صوره، ثم تصدى بالحكمة ثم بالقوة لدعواهم الباطلة، ولذلك حظي بأعظم لقب، فقد اتخذه الله خليلًا: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

ثم حظي بلقب آخر من آخر أبنائه محمد ﷺ، فحين ناداه أحد أصحابه بقوله: يا خير البرية، فقال له الرسول ﷺ: «**ذلك إبراهيم** عليه السلام»(١).

ثم يبدأ الحوار بين إبراهيم وقومه، ويسجل القرآن لنا هذا الحوار، ليكون أسلوبنا في دعوة الناس إلى الله: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ

(١) أخرجه: مسلم (٢٣٦٩).

ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٦-١٩].

ويرفض قومه كل حججه لأنهم أضعف من مواجهة صدقه ومنطقه، ويلجئون لأضعف أساليب المواجهة وهي القوة: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وتجري على يد إبراهيم تجربة حية لتأكيد الإيمان في قلبه وفي قلوبنا، التجربة يسجلها القرآن هكذا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ويمتثل إبراهيم، ويختار أربعة من الطير ويذبحها، ثم يوزع أشلاءها على قمم الجبال، ثم يناديها فتهرع مسرعة إليه.

ويمضي إبراهيم بدعوة الإيمان، يحاجج بها أهل مصر، والشام والعراق والحجاز، وتجري المعجزات على يديه لتأكيد دعوته، ويتحمل في سبيلها من الآلام والاختبارات ما لو قسمت على أهل الأرض لعجزوا عن تحمله.. يبدأ ابتلاؤه بأن يلقى به في النار ويؤمر بترك الزوجة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والطفل في مكان قفر مجدب فينصاع ، ثم يؤمر بذبح فلذة كبده إسماعيل فيضجعه ويهم بسفك دمه فلا يتردد .

وتكون المكافأة العظمى إليه إسناده مهمة بناء أو بيت لله في الأرض ، ودعوة كل الأجيال ليتوجهوا إليه بقلوبهم ووجوههم : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] .

وتمضي البشرية على هدي إبراهيم إلى أن تلتقي بالداعية العظيم والرسول الصبور موسى .

* * *

مع موسى :

لقد بدأ موسى رحلته مع الإيمان بالله بمعجزة خارقة ، وقعت أحداثها في سيناء ، وذلك عندما شاهد نارًا موقدة عند سفح جبل ، فاتجه إلى النار ليحصل على قبس منها ويعود به إلى زوجته ابنة شعيب ، وما أن يقترب من النار حتى يفاجأ بنداء يتردد صداه في جنبات الوادي : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٢-١٥] .

ويمضي موسى حاملًا رسالته ليبلغها لشعب مصر وحاكمها ، مستعينًا بأخيه هارون ، ويسجل القرآن مشهدًا من مشاهد الحوار مع زعيم مصر :

قال : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه : ٤٩] .

قال : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] .

قال : ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ٥١] .

قال : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٢-٥٥] .

ويمضي موسى على طريق الإيمان معلنًا كلمة التوحيد منكرًا كل مظاهر الشرك . . يحدثنا أخوه محمد عليه وعلى موسى أفضل صلاة وسلام يقول :

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«قال موسىٰ : يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسىٰ : لا إله إلا الله . . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسىٰ لو أن السموات السبع ، والأرضين السبع في كفه ، ولا إله إلا الله في كفه مالت بهن لا إله إلا الله»[1] .

ويسجل القرآن عشرات من المواقف بين موسىٰ وفرعون ، وبين موسىٰ وقومه من بني إسرائيل . . . وفيها يطالب موسىٰ قومه بصدق الإيمان بالله ، وتجنب كل ضروب الشرك والفكر ولكنه يواجه بصدود وإعراض ، وإيذاء وامتهان .

وينتصر موسىٰ على كل خصومه ، ينتصر على فرعون ، ويكون النصر على لسان أعوانه من السحرة ، ويشهد أكبر ميادين العاصمة هذا الانتصار ، حين يواجه فرعون بإيمانهم بموسىٰ .

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه : ٧٢ ، ٧٣] .

ويسجل القرآن حوارًا ساخنًا بين موسىٰ وبين بني إسرائيل الذين رافقوه في رحلته عبر سيناء ، ورأوا قومًا يعبدون بعض الأصنام فيطلبون من موسىٰ بأن يقيم لهم صنمًا ليعبدوه .

---

(١) أخرجه : الترمذي (٢٦٣٩) ، وابن ماجه (٤٣٠٠) عن عبدالله بن عمرو بن العاص . قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب» . وصححه ابن حبان (٢٢٥) ، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦) .

وينقل إلينا القرآن هذا النداء الصريح من المسيح لقومه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

ويأتي محمد من بعد المسيح ليواصل مسيرة التوحيد، على نفس الطريق، فيقول عن المسيح: **«إنا معشر الأنبياء ديننا واحد، وأنا أولى الناس بابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي»**[1].

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع محمد ﷺ:

ويأتي محمد عليه الصلاة والسلام ليؤكد لأمته وحدانية الله وليؤكد لهم أيضًا أنه متصل الأسباب بكل إخوانه من الرسل الذين سبقوه بهذا النداء... وفي هذا يقول ربه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثم يصدر الأمر للرسول ﷺ ليعلن للناس أنه رسول فقط، وأن مهمته تنحصر في تبليغ ما يوحى إليه، وأن أعظم ما يبلغه للبشر وحدانية الله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

ثم تتوافد الآيات عليه مفصلة، وكلها تعزز الإيمان بالله وبوحدانيته، وبصفاته، وفي إبداع معجز تذكر لنا سورة الحشر بعضًا من هذه الصفات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ووصف الشرك بالله أنه ظلم، وظلم عظيم: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

ثم يقوم الرسول بنقل أوامر ربه وتعاليمه إلينا بأسلوبه السهل البسيط، ويعززه بالأمثال والتشبيهات ليقربه من عقولنا ونفوسنا، فكان من دعائه الدائم: **«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**[١].

وكان يستحث الناس ويشجعهم على إعلان وحدانية الله في كل موقف، وفي كل موقع من مواقع الحياة، ومما قاله في هذا الشأن: **«أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه»**[٢].

ومن المشاهد المؤثرة التي تكشف لنا عن مدى اهتمام الرسول ﷺ بدعوة الناس للإيمان بالله، والشهادة بوحدانيته، ذلك المشهد الذي عاشه الرسول ﷺ وهو يودع عمه، وكان من أحب الناس إليه، وكان كافله وحاميه.. فكان الرسول ﷺ يلح على عمه أن يشهد بوحدانية الله قبل أن يموت، كان يقول له: **«يا عم قل لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»**[٣].

وظل الرسول يرددها على مسامع عمه، ولكن العم لم يستجب له، وأعلن أنه سيموت على ملة قومه.

ومع هذا قال له الرسول ﷺ: **«لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك»**[٤]، ويأتي الحسم من السماء، برفض الاستغفار لكل من يرفض الإيمان بوحدانية الله:

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٠٦) عن شداد بن أوس.

(٢) أخرجه: البخاري (٩٩) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه: البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن المسيب بن حزن.

(٤) تقدم قبله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

ومن المشاهد التي تكشف لنا عن مدى حرص الرسول على تشجيع الناس على الإيمان بوحدانية الله، والكفر بكل ضروب الشرك، ما حدثنا عنه صاحبه أبو ذر، قال أبو ذر: إنه كان مع الرسول ﷺ ذات ليلة في مكان بخارج المدينة، فغاب عن الرسول ﷺ فترة ثم عاد فسمعه أبو ذر وهو يقول بصوت مرتفع: **«وإن زنى وإن سرق»** فقال له أبو ذر: يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب الحرة؟ فقال له الرسول ﷺ: **«ذلك جبريل عرض لي جانب الحرة فقال: بشر أمتك أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن سرق وإن زنى، قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى، قال: نعم، وإن شرب الخمر»**[1].

وبعد أن سمع أبو ذر هذا الحديث الجريء قال للرسول ﷺ: أأحدث به؟.. فنصحه الرسول ﷺ بألا يحدث الناس حتى لا يتكلوا.. ولم يحدث أبو ذر بهذا الحديث إلا بعد وفاة الرسول ﷺ... لقد عاش الرسول ﷺ كل عمره يعلم الناس أصول التوحيد؛ لأنه العمود الرئيسي في بناء الدعوة، كما كان يوضح لهم خطورة الإشراك بالله، الإشراك بكل صوره، محذرًا من تقديس الكائنات من شمس وقمر، ومحذرًا من تقديس الإنسان.

لقد فعل كل هذا ليصل بالإنسان إلى الاستمساك بالمبدأ الأول والأكبر: لا إله إلا الله.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤) عن أبي ذر.

وكان الرسول ﷺ حريصًا على أن يعيش بكل أحاسيسه ومشاعره في ظلال التوحيد.. حتى إنه كان يستفتح يومه، ويختم يومه بدعائه المشهور: **«اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر»**[١].

وفي المساء يقول: **«اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر»**[٢].

ثم أوصى الناس ليرددوا هذا الدعاء صباحًا ومساءً.

* * *

(١) أخرجه: أبو داود (٥٠٧٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد» (٢١٦٣)، وصححه ابن حبان (٨٦١).

(٢) تقدم قبله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محمد رسول الله ﷺ

الإيمان بالله وحده لا يكفي لإسباغ صفة الإيمان على الإنسان فلا بد من الإيمان بالإنسان الذي اختاره الله ليحمل الرسالة التي بعثها الله لعباده ، هذا المبعوث هو الرسول ﷺ .

هذا الشرط – شرط الإيمان بالرسول ﷺ – يقوم على أساس منطقي ؛ لأن الله لم ولن يأذن للناس برؤياه كما أنه لا يكلمهم . . . فكان لا بد من اختيار من يقوم بنقل كلام الله للناس وإيضاحه لهم . . . وطبيعي أن يختار الله إنسانًا للقيام بهذه المهمة ﴿رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٦٤] . . هذا الإنسان لا بد وأن يكون على مستوى المسئولية التي سيقوم بها حتى يثق الناس فيه ويصدقوه ويؤمنوا به . . وحتى تكتمل صورة هذا الرسول ، ويقبل كل كلامه وكل تصرفاته أخذ الله على الناس أن يؤمنوا بالرسول كما حذرهم من إنكاره واعتبر هذا كفرًا حتى وإن آمنوا بالله وحده .

وحتى يكتمل إيماننا بالرسول ﷺ . . تولى الله تعريفنا بمحمد وبشخصيته ، وبصفاته ، وبمهمته ، وبأن الإيمان به يمثل ركنًا رئيسيًّا لا تقوم العقيدة إلا به .

ولسوف نعرض في بحثنا لما قاله الله عن رسوله ﷺ حتى نؤمن به . . كما سنعرض لما قاله الرسول ﷺ عن نفسه حتى يكتمل إيماننا به .

الله ﷻ يعرفنا بمحمد ﷺ :

لقد عرفنا الله بمحمد عليه الصلاة والسلام . .

وعرفنا بصفاته . .

وعرفنا بمهمته . .

فذكر لنا بعضًا من أسمائه :

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح : ٢٩] .

نبي ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف : ٦] .

﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه : ١، ٢] .

﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس : ١، ٢] .

هذه الأسماء وغيرها مما ذكر في القرآن تحدد لنا شخص النبي ﷺ، وتعرفنا به تعريفًا واضحًا لا لبس فيه .

ثم عرفنا ببعض أوصافه : فقال عنه : إنه نبي : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وإنه رسول : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء : ١٧٠] .

وإنه آخر الرسل والأنبياء : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وإنه بشير ونذير : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ : ٢٨] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنه رحمة للعالمين : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وإنه ذو خلق عظيم : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم : ٤] .

ثم عرفنا بمكانة محمد ﷺ عند الله . .

فهو يصلي عليه ويأمر الناس جميعًا بالصلاة عليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

ويجعله محل رعايته وعنايته الفائقة : ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور : ٤٨] .

ويقول : ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح : ١-٣] .

ويقول له : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى : ٣، ٤] .

ثم يكرمه غاية التكريم بأن يدعوه ليرتفع إلى السماء العالية : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء : ١] ، ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النجم : ١-٩] .

ثم يغمره برعايته ورحمته ، فيوصيه بالتخفيف عن نفسه : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف : ٦] .

ويخفف عنه ما يلاقيه من قسوة قومه عليه: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

ويقول في هذا الشأن: ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١].

وحتى عندما كان يعتب عليه في أمر من الأمور كان غاية الرحمة به، فعندما أفرج عن الأسرى قال له: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

ثم يدافع عنه دفاعًا قويًّا في مواجهة أعدائه ويقول: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وينتصر الله له في المواقف العامة كما ينتصر له في المواقف الخاصة، فيعلن أنه سينصره في الدنيا والآخرة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

كما يعلن أنه سيعصمه من كل أذى يلحق به: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

ويرد على خصمه وهو عمه الذي كان يسبه ويشتمه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ١-٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويكفيه شر الساخرين منه : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر : ٩٥] .

وينذر ويحذر القوم الذين تآمروا على إخراجه : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد : ١٣] .

ويحذر المنافقين بأنه سيأخذهم بأقصى شدة : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب : ٦٠] .

ويحذر الذين يصدون عن طريق محمد ﷺ بقوله : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

ويشتد في لعن الذين يحادون الله والرسول فيقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة : ٢٠] .

ويضفي عليه حمايته وهو في قلب معركة بدر : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

ثم يلقنه أسلوب الصبر على أعدائه : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر : ٩٧، ٩٨] .

ثم ينتقل به إلى جماعة المؤمنين، فيوصيهم باحترام الرسول ﷺ، والتأدب في حضرته : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢] .

ويقول عاتبًا عليهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

ويحمي بيوته وأسرته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ويمتد الدفاع عنه إلى داخل بيوته، فيوصي زوجاته بعدم مضايقة رسوله، وتحميله ما لا يطيق من أعباء الحياة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

ويلزمهن بطاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمر وينهى: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثم يعرفنا بدور محمد ﷺ في أداء رسالته، لقد تولى الله جل شأنه تعريفنا بدور الرسول ﷺ في أداء الرسالة، وموقعه منها، كما وضح لنا مدى الضرورة الموجبة للإيمان بالرسول، وأنه لا يتحقق الإيمان الكامل إلا بالإيمان بالرسول..

فأولًا وضح لنا أن الرسول ﷺ لم ينشئ عقيدة، ولكنه مكلف بالإيمان بها ثم بتبليغها، فالله يأمره بأن يكون مسلمًا: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: ١٤].

ثم يأمره بأن يحدد مهمته للناس: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ثم يأمره بأن يتقيد بحدود الرسالة، كما أنزلها الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول له : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى : ٧] .

ويوضح الله للناس أن النبي ﷺ لم يكن عنده سابقة علم بالقرآن ولا سابقة علم بالرسالة : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] .

كما يؤكد لنا الله أن النبي ﷺ ليس بوسعه أن يؤلف قرآنًا من عنده ، أو أن يدخل على القرآن إضافة أو تبديلًا : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس : ١٥] .

أما عن مكانة النبي ﷺ من العقيدة ، فإن الله تعالى يوضح لنا أن الإيمان بمحمد ﷺ ، وبطاعته ، وبالتسليم بأقواله وأحكامه تشكل أساسًا رئيسيًّا للإيمان .

فيعتبر طاعة الرسول من طاعة الله : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠] ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء : ٦٤] .

ويطمئن الذين يطيعون الله ورسوله بأن لهم أوفر الجزاء : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور : ٥٢] .

كما يحذر الذين لا يلتزمون بطاعة الله ورسوله : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

ويعتبر بيعة الناس لرسول الله ﷺ بيعة لله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح : ١٠] .

ثم يكل الله إليه مهمة الحكم بما أنزل الله عليه من القرآن : ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة : ٤٩] .

كما يكل إليه أمر القضاء في الناس على هدي كتاب الله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] .

وحتى تتضح مكانة الرسول ﷺ من العقيدة فإن الله تعالى أوكل للرسول ﷺ مهمة تفسير كتابه للناس ، وإيضاح ما أبهم على الناس منه ، كما خول الرسول حق وضع تشريعات تطابق ما ورد في القرآن ، وألزم الناس العمل بها ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر : ٧] .

ثم خوله مهمة التطبيق العملي لكل ما ورد في القرآن من عبادات وتشريعات فمثلًا أمر الله الناس بالصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، فقام الرسول بأداء هذه الفرائض ، وعلم الناس كيفية أدائها .

فالصلاة مثلًا لم يذكر القرآن عددها ، ولا عدد ركعاتها ولا كيفية أدائها ، وترك هذا الأمر لرسول الله ﷺ الذي تولى شرح الصلاة للناس ، ثم صلى بهم طول عمره ، وقال عبارته المشهورة : **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[1] .

---

(١) تقدم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والزكاة لم تذكر نوعياتها ، ولا مقدارها في القرآن ، وترك للرسول ﷺ تحديد الأنصبة ، وتحديد مواعيد سدادها ، والجهة التي تتولى جمعها وإنفاقها .

وكذلك الأمر في الصوم ، فالصوم فرضه الله وحدد الشهر الذي يصام فيه ، ومواعيد الصوم ، وترك للرسول ﷺ مهمة إيضاح تفاصيل ذلك .

والحج ومناسكه قام الرسول ﷺ بأداء الحج مع الناس ثم بين لهم مناسك الحج .

كذلك الأمر بالنسبة للتشريعات فقد قام الرسول ﷺ بإلقاء الضوء على التشريعات وفصل ما غمض على الناس ، فمثلًا بين للناس المقصود بالربا ، والفرق بين البيع الحلال والربا الحرام . . وبالنسبة للعقوبات فصلها وفصل الجرائم التي توقع عليها العقوبات ، كما قام بالتحقيق مع المتهمين ، وإصدار الأحكام عليهم والإشراف على تنفيذها .

كذلك قام بوضع تشريعات لحالات لم ترد في القرآن كتوقيع عقوبة الرجم على الزناة المحصنين .

كل هذا يوضح لنا السبب في أن الإيمان بالرسول ﷺ يشكل ركنًا رئيسيًا في العقيدة وأنه لا يقبل الإيمان بالله وحده دون الإيمان برسوله وبكل رسله .

الرسول محمد ﷺ يعرفنا بنفسه :

ولقد عرفنا الرسول ﷺ بنسبه وبصفاته ، وبرسالته ، وبآخرته .

لقد عرفنا الرسول بنسبه فكان يقول : **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»**[1] .

(١) أخرجه : البخاري (٢٨٦٤) ، ومسلم (١٧٧٦) عن البراء بن عازب .

ثم عرفنا بأصله القديم فقال: **«أنا ابن الذبيحين»**[١] أي ابن إسماعيل الذي هم أبوه إبراهيم بذبحه، وأنه ابن عبد الله الذي كان سيذبح وفاء لنذر والده.

ثم يعرفنا بصفاته، فيقول: بأنه عبد الله وأنه نبي: **«إني عبد الله، وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته»**[٢].

ويقول: إنه رسول وإنه آخر الرسل: **«إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي»**[٢]، ثم هو يبين لنا مكانته من الأنبياء والرسل وأنه جاء ليكمل رسالة من سبقه: **«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وجمله، إلا موضع لبنة واحدة، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»**[٣].

مع هذه المساواة، فإنه يوضح في موضع آخر أن له مكانة خاصة بين الأنبياء فيقول: **«فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»**[٤].

وينتقل بنا النبي ﷺ من الدنيا إلى الآخرة فيكشف لنا عن مكانته بين الأنبياء، ومكانته في الأمم فيقول: **«إذا كان يوم القيامة، كنت إمام**

---

(١) علقه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٩)، وانظر «كشف الخفا» (١/ ٢٣٠).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه: البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه: مسلم (٥٢٣) عن أبي هريرة وتقدم طرف آخر منه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأنبياء وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم ولا فخر»[١].

ويقرن بين الإيمان بالله والرسول، عندما يسأل عن الإيمان بالله وحده، ففي حديث لابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لوفد عبد القيس: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟** -قالوا: الله ورسوله أعلم، قال-: **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**[٢].

ويجعل الإيمان به شرطًا لدخول الجنة التي أعدها الله للمؤمنين فيقول لبعض أصحابه: **«كلكم يدخل الجنة إلا من أبى»**، -قالوا له: ومن يأبى دخول الجنة يا رسول الله؟ قال-: **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**[٣].

ويقول عن موقعه من البشرية يوم القيامة: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأول شافع وأول مشفع»**[٤].

ثم يعرفنا بموقعه من الإيمان:

أما عن دعوته إلى الإيمان به.. وأن الإيمان به شرط أساسي لكمال الإيمان بالدين.. فيقول في وضوح: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن**

---

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٥/ ١٣٧)، والترمذي (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤) عن أبي بن كعب. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١).

(٢) أخرجه: البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧) عن ابن عباس.

(٣) تقدم.

(٤) أخرجه: مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة.

عصاني فقد عصى الله»[١] .

ويؤكد هذا بصور عديدة من ذلك قوله : **«والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**[٢] .

ومن الروايات المشهورة والتي تجعل من الإيمان بالرسول شرطًا رئيسيًّا للإيمان بالله ما ذكره لنا عمر بن الخطاب من شهوده للجلسة التاريخية التي شهدوا فيها جبريل وهو يسأل الرسول عن الإسلام : **«يا محمد ما الإسلام؟ فيقول الرسول : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»** فيؤمن عليه جبريل[١] .

وكان يقدم الإيمان بالله وبرسوله على كل العبادات والتشريعات من ذلك وصيته لمعاذ بن جبل عندما أوفده لليمن قال له : **«إنك تأتي قومًا أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أجابوك فاعلم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أجابوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**[٣] .

---

(١) تقدم .

(٢) أخرجه : البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٠٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وقال النووي في «الأربعين» بعد الحديث الحادي والأربعين : حديث صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه : البخاري (١٤٩٦) ، ومسلم (١٩) عن ابن عباس .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسئل الرسول ﷺ عن أفضل الأعمال ، فقال : «**الإيمان بالله ورسوله**» ، ثم قيل له : ثم ماذا؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله**» ، قيل : ثم ماذا؟ قال : «حج مبرور»[(١)] .

والملائكة والجن والإنس يشهدون بمحمد رسول الله ﷺ:

ذكرنا أن الله عرفنا برسوله ﷺ ، وبصفات الرسول وبضرورة الإيمان به ، وذكرنا أن الرسول ﷺ عرفنا بنفسه ، وبصفاته وبضرورة الإيمان به .

وبقي أن نتعرف إلى الرسول من خلال الملائكة ، والجن والإنس ؛ لأنهم جميعًا آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام .

فالملائكة جميعًا شهدوا بالقرآن وبمحمد ، من ذلك قوله الله تعالى : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٦٦] .

ومن الملائكة الذين شهدوا لمحمد ﷺ جبريل عليه السلام ، فهو الذي كان ينزل بالآيات المثبتة لنبوة محمد ﷺ ، بل هو أول من بلغه بالرسالة .

ومما يذكر أن الرسول ﷺ لما انقطع عنه الوحي ، وضاقت نفسه ، وخرج من مكة إلى قمم الجبال التقى به جبريل وطمأنه وهدأ من ثائرته فكان يقول له : يا محمد إنك رسول الله حقًّا .

أما الجن فقد آمن بعضهم بمحمد وشهدوا برسالته ، يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

---

(١) أخرجه : البخاري (٢٦) ، ومسلم (٨٣) عن أبي هريرة .

ويروىٰ عن الرسول أنه قال : **«ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن»** ، قالوا : وأنت يارسول الله ، قال : **«وأنا إلا أن الله تعالىٰ أعانني عليه فأسلم ، فليس يأمرني إلا بخير»**[١] .

ويروىٰ أن الرسول ﷺ خرج مع بعض أصحابه ، فغاب عنهم حتى اشتد قلقهم عليه ، فلما عاد سألوه عن سبب غيبته فقال لهم : **«أتاني داعي الجن ، فأتيتهم فقرأت عليهم . . .»**[٢] .

وشهد لرسول الله ﷺ أصحابه يوم أن طلب منهم أن يشهدوا له بأنه أدىٰ أمانته ورسالته على الوجه الأكمل ، وكان ذلك يوم أن ألقىٰ عليهم آخر خطاب له ، ومما قاله في خطابه : **«وإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا كتاب الله ، وأنتم مسئولون عني ، فما أنتم قائلون؟»** قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت .

فلما رددوا الشهادة أخذ الرسول يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويردد : **«اللهم اشهد اللهم اشهد»**[٣] .

فإذا شهدنا بأن محمدًا ﷺ رسول نكون قد لبينا داعي الإيمان .

فالله يشهد بأن محمدًا ﷺ رسول الله .

والملائكة تشهد بأن محمدًا ﷺ رسول الله .

والجن تشهد بنفس الشهادة .

والإنسان الذي عاش مع محمد ﷺ شهد له .

فلنشهد بأن محمدًا ﷺ رسول الله .

---

(١) أخرجه : مسلم (٢٨١٤) عن عبدالله بن مسعود ، وقد تقدم بلفظ آخر .

(٢) أخرجه : مسلم (٤٥٠) عن ابن مسعود .

(٣) تقدم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العمود الثاني:

الصلاة

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]

عقد احتفال ضخم في السماء السابعة . . .

وقد دعي لهذا الاحتفال أعظم رجل في الأرض . . .

وكان الغرض من الاحتفال تكليف هذا الرجل العظيم بإقامة الركن الثاني في الإسلام . . .

فمن الداعي؟ ومن المدعو؟ وما الغرض من الدعوة؟

الداعي : هو الله . . .

والمدعو : هو محمد رسول الله ﷺ . . .

والغرض من الدعوة : الصلاة . . .

وحتى تأخذ المناسبة كل ما تستحقه من إجلال وإكبار . . فقد استدعي محمد ﷺ بليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى عبر صحراء لا يقل طولها عن أربعة آلاف ميل ، ليتهيأ للصعود إلى السماء العالية ، مارًا بسكان هذه السموات من نبيين ورسل ، إلى حيث يتلقي أروع وأعظم هدية من الله . . وهي الصلاة . . وقد سجلت سورة الإسراء المرحلة الأولى .

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] .

كما سجلت سورة النجم الرحلة الثانية : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم : ١-١١] .

وعند سدرة المنتهى كان التكليف والتشريف لعبد الله ورسوله محمد ﷺ بالصلاة . . .

فلم كل هذا الاحتفاء بالصلاة!!

هل لأنها عبادة أراد الله أن يفرضها على رسوله ثم على الناس جميعًا؟

أم لأن لها آثارًا ينعكس نفعها على الناس فرادى وجماعات . . . الإجابة عن هذا السؤال سنهتدي إليها عن طريق الذي فرض الصلاة، ثم عن طريق الرجل الذي أنيطت به مهمة أداء الصلاة ثم مهمة تعليم الناس أصول وقواعد الصلاة .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة فرضٌ . . . يجبُ أداؤه . . . وإلا!!

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] . . فالصلاة فرض ملزم لكل مسلم عاقل بالغ . .

فالمجانين لا يلزمون بالصلاة لفقدانهم العقل المفكر . .

والصبية لأنهم لم يصلوا لدرجة التمييز لم تفرض عليهم الصلاة، ولكن طلب من أوليائهم أن يروضوهم على الصلاة حتى يشتد عودهم، ولنستمع لإيضاح رسول الله فقد قال على وجه التحديد: «**رفع القلم** (أي التكليف) **عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم** (أي يبلغ) **وعن المجنون حتى يعقل**»[(١)] .

باستثناء هؤلاء فإن الصلاة مفروضة على الجميع، مفروضة على الرجال والنساء، على الشباب والشيوخ، على الأصحاء وعلى المرضى، وهي مفروضة في كل مكان، فلا يحدها إقليم، ولا مكان معين، فهي مفروضة على المسافر وهو على سفره، ومفروضة على المحارب وهو في ميدان القتال . . ولا يرد على هذا التعميم إلا ظروف خاصة لفترات محددة سنذكرها في حينها .

والصلاة لها مواعيد محدودة، ولها مقدمات ولها نهايات، ولها آداب، ولها قوانين يلتزم بها الناس فرادى وجماعات . . ولها أمير وقائد وموجه . . الصلاة دولة . .

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي في «المجتبى» (٣٤٣٢)، وابن ماجه (١٤٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . وصححه ابن حبان (١٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩).

فإذا أنكر الإنسان فريضة الصلاة فقد خرج من كل العقيدة ؛ لأن الصلاة تمثل أكبر وأضخم ركن فيها ، وهذا ما عبر عنه الرسول : **«رأس الأمر في الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد»**[١] . . فالذي يتنكر لهذا الركن الأساسي في الإسلام فقد أهدر دينه ، وأخرج نفسه من عهد المسلمين ، يقول رسول الله ﷺ : **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»**[٢] . . وعلى الجانب الآخر فإن النبي أعطى للمصلين حماية خاصة ، حتى وإن صدر عنهم ظلم أو جور ، قال رسول الله لأصحابه : **«إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع»** ، قالوا : يا رسول الله ، ألا نقاتلهم؟ قال : **«لا ، ما صلوا»**[٣] .

أما تارك الصلاة عن غفلة لا جحود لها وإنكار لفريضتها فآثم ويستتاب حتى يتوب ويصلي . .

مقدمات الصلاة:

ولعظم شأن فريضة الصلاة ، فقد جعلت لها مقدمات رفعت لمرتبة الفرض ، ولا تصح الصلاة إلا إذا أديت هذه الفريضة . . وهذه الفريضة

---

(١) أخرجه : الترمذي (٢٦١٦) ، وابن ماجه (٣٩٧٣) ، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤) ، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٣١) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا ، به . قال الترمذي : «حسن صحيح» ، وصححه ابن حبان (٢١٤) وغيره .

(٢) أخرجه : أحمد في «المسند» (٥/٣٤٦) ، والترمذي (٢٦٢١) ، والنسائي في «المجتبى» (٤٦٣) ، وابن ماجه (١٠٧٩) عن بريدة بن الحصيب . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح غريب» . وصححه ابن حبان (١٤٥٤) ، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦-٧) .

(٣) أخرجه : مسلم (١٨٥٤) عن أم سلمة رضي الله عنها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هي الوضوء . . وقد ذكرت بالنص وعلى وجه التحديد في كتاب الله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة : ٦] . . وأضاف الرسول إلى هذه الفريضة سننًا فصلتها ووضحتها وبينت أهميتها ، فقال عن فريضة الوضوء : **«لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»**(١) . . ثم إنه علم أصحابه كيفية الوضوء وآدابه ، ثم بشرهم بالأجر والثواب ، وإذا أحسنوا الوضوء قال : **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات»** ، قال له أصحابه : بلى يا رسول الله ، قال : **«إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط»**(٢) (أي أنها تعتبر مثل الجهاد) .

وهذه النظافة التي أمر الله بها ليس المقصود منها نظافة الظاهر فقط ، ولكنها تنفذ إلى الباطن ، فتغسل آثام النفس وأقذارها كما غسلت الأيدي والأرجل ، ولقد شرح لنا الرسول وهو أول من توضأ وعلمنا الوضوء دور الوضوء في داخل الإنسان قال : **«إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه ، ثم كان**

(١) أخرجه : البخاري (١٣٥) ، ومسلم (٢٢٥) عن أبي هريرة .
(٢) أخرجه : مسلم (٢٥١) عن أبي هريرة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة»[١] . .

وبعد أن يتهيأ الإنسان للصلاة بتطهير ظاهره وباطنه . . يفرض عليه أن يختار أرضًا طاهرة ونظيفة ، وخالية من كل القاذورات والأوساخ ، فقد ذكر عن الرسول أنه حذر من الصلاة في «المزبلة ، والمجزرة ، والمقبرة ، وقارعة الطريق ، وفي الحمام» . .

ثم اختار الله مكانًا طاهرًا لاستضافة المصلين ، وأطلق عليه اسمه ، وشجع الناس على الصلاة فيه . . والحديث القدسي حدد لنا مكان ضيافة الله فيقول : **«إن بيوتي في أرضي المساجد ، وإن زواري فيها عمارها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ، فحق على المزور أن يكرم زائره»**[٢] . .

وبعد أن أمر الإنسان بالطهارة الظاهرة والباطنة ، وبعد أن أعد له المكان الطاهر . . سمح الله له بالصلاة . . وحدد له عدد الصلوات ، ومواعيدها ، وكيفية أدائها ، وبدايتها ونهايتها ، وما يقال فيها . . كل هذا حدد على وجه الدقة . .

خمسة أوقات تبدأ من الصباح الباكر وتنتهي ليلًا . . يصلي فيها سبع عشرة ركعة . . وفي كل ركعة وقوف وركوع ، ثم سجود على الأرض . . وتبدأ بالتكبير ، وتنتهي بالسلام ، ويقرأ فيها بعض كلام الله . .

كل هذا مفروض من عند الله . . ومنفذ من قبل رسول الله . . وما من حركة ، وما من إشارة ، وما من كلمة تقال في هذه الصلاة إلا وترمز إلى مغزى يستحق منا وقفة .

---

(١) أخرجه : مسلم (٢٤٥) عن عثمان بن عفان .

(٢) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٤٤٥) ونسبه للطبراني عن ابن مسعود .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم كانت خمسة أوقات تبدأ في الصباح إلى المساء؟ . . إن الصلاة تذكير دائم بالله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وذكر الله لا بد وأن يصاحب الإنسان صباحًا وظهرًا وعصرًا ومساءً وليلًا . . والصلاة هي الوسيلة المنضبطة للتذكير بالله . . ومن رحمة الله بالناس، وحرصًا على الوفاء بواجب الذكر اكتفى بخمس صلوات بعد أن كانت خمسين صلاة . .

هذا التحديد الزمني ذكره الله في كتابه :

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [هود: ١١٤] . .

وقام الرسول بتكليف من الله بتحديد موعد الخمس صلوات، وكل إخلال بهذه المواعيد يقابله جزاء شديد، يقول الرسول : **«وقت الظهر إذا زالت الشمس، وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت فأمسك عن الصلاة، فإنها تطلع بين قرني شيطان»**[1] . .

وحتى يحافظ الناس على الصلاة في مواعيدها، ولا يفرطوا فيها ذكر لهم الرسول جزاء الملتزم بالمواعيد، كما ذكر لهم عقوبة المفرط في هذه المواعيد . .

فقال عن الملتزمين بمواعيد الصلاة : **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل**

(١) أخرجه : مسلم (٦١٢) عن عبدالله بن عمرو .

وعلى كل من يسمع الأذان أن يردده، وبذلك يشترك كل الناس في الأذان، يقول الرسول: **«إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»**[١]..

وتكون الخطوة التالية.. النظافة المحددة..

ثم يبدأ المصلي بالتكبير ثم الركوع والسجود، ويلازمه التكبير في أول كل ركوع، وفي أول كل سجود، ويقرأ كلام الله.. وتقرأ أحاديث الرسول التي أوصى بها من تشهد أوسط إلى تشهد أخير.. هذا علاوة على ما أوصى به في السجود والركوع.. وفي آخر الصلاة.. وتكون الخاتمة السلام يمينًا وشمالًا.. ثم تختم الصلاة..

ها هو الجانب الشكلي للصلاة، وهو على الرغم من أنه يخدم الجانب الموضوعي فيها، إلا أن الصلاة لا تكتمل ولا تصح إلا به..

الجانب الموضوعي للصلاة:

أما الجانب الموضوعي للصلاة فهو بالغ الأهمية والخطورة، ولذلك أوصى الله به عبر عشرات الآيات كما أولاه الرسول كل عنايته وتوجيهه..

الصلاة تذكير دائم بالله وبقدرته وبفضله..

وتكاد هذه الآية القصيرة أن توفي بالمقصود بالصلاة..

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]..

وقال:

---

(١) أخرجه: مسلم (٣٨٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى : ١٤ ، ١٥] . .

ويقول في موضع آخر على لسان حبيبه محمد :

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] . .

ويقول الرسول : **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»**(١) .

والصلاة قرينة على النجاح والفلاح :

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] . .

وتركها قرينة على الفشل والخيبة :

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم : ٥٩] . .

والصلاة تقوم بدور الواعظ الدائم :

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] . .

ويؤمن الرسول على هذا المعنى فيقول :

«من لم تنهه صلاته فلا صلاة له»(٢) . .

والصلاة تقوم بغسل ذنوب الناس وخطاياهم ، يقول رسول الله لأصحابه : **«مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم ،**

---

(١) أخرجه : مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة .

(٢) لم أقف عليه .

يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فهل ترون ذلك يبقي من درنه؟» قالوا له: لا شيء، قال: **«فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن»**[1]..

والصلاة تعمل على تنظيم المسلمين، وضبط تصرفاتهم، والتزامهم بالجماعة؛ ولذلك فقد أوجب الله عليهم أن يجتمعوا كل يوم جمعة، ويتخذوا منهم قائدًا وإمامًا، يلتزمون بالاقتداء به في كل حركاته وسكناته، ويقفون من خلفه في صفوف منتظمة متراصة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، بل إنه وضع عقوبات على الذين لا يتابعون الإمام، ولا يقفون في الصف بانتظام.. منها أن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج..

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه: البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) عن أبي هريرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة . . على الجميع

والصلاة تجب على الجميع ، ودون استثناء ، وفي كل مكان . . وفي كل زمان . .

الرجال والنساء تجب عليهم الصلاة ابتداء من سن البلوغ إلى آخر العمر ، فالأولاد يروضون على الصلاة ، يقول الرسول : **«مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعًا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا ، وفرقوا بينهم في المضاجع»**[(١)] .

والرجال والنساء مأمورون بالصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء : ١٠٣] . . والمرضى مأمورون بالصلاة مع التخفيف عنهم ، كما أمر رسول الله : **«صل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فصل على جنبك ، فإن لم تستطع فمستلقيًا»**[(٢)] .

والمسافرون مطالبون بالصلاة مع التخفيف عنهم ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء : ١٠١] ، ويعقب الرسول على هذه الرخصة فيقول : **«صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»**[(٣)] ، كما أجاز الجمع بين

---

(١) أخرجه : أبو داود (٤٩٤) ، والترمذي (٢ / ٢٥٩) والدارمي (١ / ٣٣٣) ، والحاكم (١ / ٢٠١) ، وأحمد (٣ / ٢٠١) وغيرهم من طرق عن سبرة . وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» . وقال الحاكم : «صحيح على شرط مسلم» . ووافقه الذهبي . وأخرجه : أبو داود (٤٩٥ ، ٤٩٦) ، والحاكم (١ / ١٩٧) والبيهقي (٧ / ٩٤) ، وأحمد (٢ / ١٨٧) وغيرهم عن ابن عمرو .

(٢) تقدم .

(٣) أخرجه : مسلم (٦٨٦) عن عمر بن الخطاب .

الظهر والعصر، والمغرب والعشاء للمسافرين إشفاقًا بهم..

والمقاتل مأمور بالصلاة مع التخفيف عنه، فقد بين الله للقائد كيفية الصلاة في المعركة، حتى لا يتعرض المسلمون لغدر عدوهم: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ [النساء: ١٠٢]..

فالصلاة فرض يمتد على مدى العمر، وحتى بعد الموت، فالمسلمون يجب عليهم أن يجتمعوا على موتاهم ويصلوا عليهم..

موانع الصلاة:

ومع وجوب الصلاة على الجميع، وفي كل الظروف، فإن هناك موانع للصلاة يجب مراعاتها بمنتهى الدقة..

موانع عامة منها:

ممنوع على الجنب أن يصلي إلى أن يتطهر، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ﴾ [المائدة: ٦]..

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ﴾ [النساء: ٤٣]..

وممنوع على المرأة في ظروفها الخاصة أن تصلي إلى أن تتطهر..

وممنوع على المرأة أن تصلي عقب الولادة إلى أن تتطهر..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وليس على المرأة أن تقضي الصلاة التي فاتتها، أما إذا أفطرت في رمضان فعليها قضاء الصوم . . تحدثنا السيدة عائشة تقول : كنا نحيض في عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة . .

* * *

صلاة المواسم والمناسبات

علاوة على الصلوات الخمس اليومية، شرعت مجموعة من الصلوات منها ما تقام كل أسبوع، ومنها ما تكون في الأعياد كعيد رمضان وعيد الأضحى، ومنها ما تتم ولو مرة واحدة في العمر كصلاة التسابيح، وهناك صلوات تقتضيها الحاجة كصلاة الاستسقاء وصلاة طلب الحاجة من الله وصلاة الاستخارة وصلاة الكسوف..

يوم الجمعة هو احتفال أسبوعي يقام في كل المساجد.. وقد نبهنا الرسول لقيمة يوم الجمعة فقال: **«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»**[1]..

وصلاة العيدين وفيهما يجتمع الناس جميعًا، رجالًا ونساءً وأولادًا، وبين الرسول كيفيتهما بالكامل من تكبير وتهليل، كما بين كيفية الاحتفال بهما..

وصلاة التسابيح، وهذه الصلاة يكفي أن تصلى ولو مرة واحدة في العمر، قال رسول الله لعمه العباس: **«يا عباس، يا عماه، ألا أعطيك»** (ثم ذكر له كيفية صلاة التسبيح) وقال: **«إذا استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة»**[2]..

---

(١) أخرجه: مسلم (٨٥٤) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه: أبو داود (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧) عن ابن عباس. وصححه ابن خزيمة (١٢١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣١٨). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٧): «الحق أن طرقه كلها ضعيفة وإن كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن إلا أنه شاذ؛ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر ومخالفة هيئتها لهيئة باقي الصلوات».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكيفيتها كما ذكرها الرسول : هي أربع ركعات يقول بعد القراءة في كل ركعة : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، خمس عشرة مرات ، ويقول في الركوع عشر مرات ، وفي الرفع من الركوع عشر مرات ، وفي السجود عشر مرات ، وفي الرفع منه عشر مرات ، وفي جلسة الاستراحة بين الركعتين عشر مرات ، وبذلك يكون مجموع التسبيحات في كل ركعة ٧٥ تسبيحة . .

وصلاة التوبة : يقول الرسول : **«ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلي ركعتين ، يستغفر الله إلا غفر له»** .[١] .

وصلاة الحاجة : فإذا كانت لك حاجة فصل من أجلها ركعتين ، يقول الرسول : **«من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلًا أو مؤخرًا»**[٢] .

وصلاة الاستخارة : ويبينها الرسول بقوله : **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ،**

---

(١) أخرجه : أحمد في «المسند» (١/ ٢) ، وأبو داود (١٥٢١) ، والترمذي (٣٠٠٦، ٤٠٦) ، وابن ماجه (١٣٩٥) عن أبي بكر رضي الله عنه . وانظر «علل الدارقطني» (١/ ١٧٦-١٨٠) .

(٢) أخرجه : أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٢) عن أبي الدرداء . قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٧٨) : «رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه ميمون أبو محمد ، قال الذهبي : لا يعرف» .

هذا المال . . مِلْكُ مَن

المال الذي بين يديك هل أنت صاحبه ومالكه؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل لك مطلق الحرية للتصرف فيه؟!

هذا السؤال حير رجال الاقتصاد قديمًا وحديثًا، وقد انعكست حيرتهم على الشعوب فحيروها معهم . . وكان عصرنا الحاضر ضحية من ضحايا هذا الصراع فقد ابتلي بالتناطح بين نظامين اقتصاديين يؤمن أحدهما بأن الإنسان هو المالك المتحكم في ملكه، وله مطلق الحرية للتصرف فيه . . وعلى العكس منه كان النظام الآخر الذي وضع قيودًا من حديد على حرية الإنسان في التملك وبالتالي حريته في التصرف . .

ونظرة خاطفة على الخريطة البشرية، تكشف لنا عن فشل كلا النظامين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي . . وذلك لعدم فهمهما لقضية ملكية المال وبالتالي لعدم فهمهما لكيفية كسب المال وكيفية إنفاقه . .

ولسنا في حاجة للتدليل على هذا الفشل . . لأن المجاعة التي تهدد أكثر من نصف العالم، والبطر الفظيع الذي يعيشه ما لا يزيد عن عشر البشر، والقنابل المتربصة بحياة الإنسانية والتي يملكها أصحاب تيجان الرأسمالية والشيوعية . . والفزع والقلق والخوف الذي يتحكم فينا . . كل هذا يحمل الدليل على فشل كلا النظامين . . وقد أحسن وأجاد «هارولد لاسكي» الفيلسوف الإنجليزي في وصفه لهذا التردي العالمي حين قال: «الطبقة المالكة للمال تصوغ مدنية المجتمع، على الوجه الذي يخدم مصالحها الخاصة، فهي التي تهيمن على أداة الحكم، وهي التي تسن القوانين، وهي التي تقيم النظم الاجتماعية على النحو الذي يتفق مع مصالحها» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذان المذهبان وغيرهما من المذاهب الاقتصادية المعاصرة انتهوا بالإنسانية إلى حيوانية شرسة تؤله المال والسلطان والجنس، والسبب في هذا أنهم أنكروا المالك الحقيقي للمال، كما أنكروا وسائل كسب المال ووسائل إنفاقه التي وضعها مالك المال للمال..

والعلاج الوحيد لهذا التخبط الفكري، يكمن في تصحيح فهم الإنسان لحقيقة الملكية ملكية المال ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] وتصحيح كسبه وإنفاقه..

❊ ❊ ❊

المال . . ملك لله وحده

هذه الحقيقة على بساطتها يمكن أن تحل بها جميع مشاكل العالم الاقتصادية ؛ لأن الشعوب والدول والأفراد سيدركون أن دورهم في الأرض لن يزيد على دور حائز الوديعة . . وأنه حائز لها لفترة معلومة تنتهي بنهايته . . ولقد عبر عن هذه الحقيقة الدكتور محمد عبد الله العربي حين قال : «الإنسان حائز لوديعة أودعها الله بين يديه ، وهو خليفة الله في أرضه ، أمره الله بالانتفاع بهذا المال ، ومكنه من هذا الانتفاع ، للوفاء بحاجاته ، وإصلاح معاشه ، على أن يتفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع ، ومصلحة الإنسانية بصفة عامة ، وسوف يحاسب على ذلك بين يدي الله يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨]» .

ويزيدنا الشيخ محمود شلتوت إيضاحًا فيقول في كتابه الإسلام شريعة وعقيدة : «وإذا كان المال مال الله ، وكان الناس جميعًا عباد الله ، وكانت الحياة التي يعملون فيها ، ويعمرونها بمال الله هي لله ، كان من الضروري أن يكون المال وإن ربط اسمه باسم شخص معين لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع ، وينتفع به الجميع ، وقد أرشد إلى ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة : ٢٩] ، ومن هنا أضاف القرآن الأموال إلى الجماعة ، وجعلها قوامًا لمعيشتهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة : ١٨٨] وقال : ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء : ٥]» .

ثم يزيدنا الشيخ شلتوت إيضاحًا فيقول : «فليس لأحد أن يقول : مالي مالي هو مالي وحدي لا ينتفع به أحد سواي فالمال مال الجميع والمال

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مال الله ينتفع به الجميع عن الطريق الذي شرعه الله في سد الحاجات، ودفع الملمات، وهو ملك لصاحبه لكنه لا يتصرف فيه كما يشاء ويهوى، بل كما رسم الله وبين في كتابه، حتى إذا ما أخل بذلك فأسرف وبذر، أو ضن وقتر حجر عليه أو أخذ منه قهرًا، عندما يرى الحاكم أخذه من مثله».

والإيمان بأن المال ملك لله يعد أصلًا من أصول العقيدة، ويتفرع منه الإيمان بطريقة كسب المال وبطريقة إنفاقه.. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]..

* * *

الكسب الحلال . . والكسب الحرام

ومقتضى إيماننا بأن الله هو صاحب هذا المال وأن دور الإنسان هو الحفاظ على هذا المال واستثماره، يدعونا للسؤال عن النظم التي وضعها الله لكسب المال والنظم التي وضعها لطريقة إنفاقه . .

ولقد تصدرت قاعدة إباحة الكسب الحلال، وإباحة الانتفاع به جميع القواعد المنظمة للمال، يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨] بل إنه سخر من الذي لا يمتعون أنفسهم بالكسب الطيب ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ﴾ [الأعراف: ٣٢] واشتد في اللوم على الذين يحرمون الطيبات التي أحلها الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧] . .

واستثناء من هذه الإباحة، حرم بعض الأطعمة وبعض الأشربة، فحرم لحم الخنزير، وحرم أكل الميتة، وحرم شرب الخمر . . وحتى يرتبط هذا التحريم بأصل العقيدة فإنه حرم أطعمة لا يذكر فيها اسم الله، كما حرم كل مال لا يتولد من كسب حلال ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ﴾ [آل عمران: ١٣٠] ويحذرنا الرسول من أكل الحرام: **«كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»**[1]، بل إن من المال ما يسمى مالًا صالحًا، ومنه ما يسمى

(١) أخرجه: الترمذي (٦١٤)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٢١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧٣٠)، وفي «الصغير» (٦٢٥) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعًا، به. قال الترمذي: «حسن غريب»، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٣٠): «رجاله ثقات».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاسدًا ، يقول رسول الله : **«نعم المال الصالح للرجل الصالح»**[١] . .

وقد ربط الله الكسب الحلال في الدنيا بجزاء موفور في الآخرة . .

كما ربط الكسب الحرام بعقوبة صارمة في الآخرة . .

يقول رسول الله ﷺ : **«من بات كالًّا من عمل يديه بات مغفورًا له»**[٢] . .

ويقول الرسول عن الذين يكسبون أموالهم من المال الحرام : **«من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقًّا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة»**[٣] . .

* * *

(١) أخرجه : أحمد (٤/ ١٩٧) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩) ، وأبويعلى (٧٣٣٦) ، وغيرهم عن عمرو بن العاص . وصححه الحاكم (٢/ ٣) ، وابن حبان (٣٢١١) .

(٢) أخرجه : ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٠) عن المقدام بن معدي كرب ، واستنكره الذهبي في «السير» (١٤/ ٥٠٠) .

(٣) أخرجه : أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧) ، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٥١) عن معقل بن يسار . وأخرجه أيضًا الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٢-١٣) ونص على أنه ليس على شرط الكتاب .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإنفاق الحلال . . والإنفاق الحرام

وبعد أن حدد الله لنا الكسب الحلال من الكسب الحرام من المال ، بين لنا كيفية إنفاق هذا المال . .

وقد أباح لنا الإنفاق من كسبنا الحلال والاستمتاع به ، ومع تقييدنا بنظم وشروط حتى لا نضار بأنفسنا أو بالمجتمع الذي نعيش فيه . . ثم وضع عقوبات صارمة لمن يخالف هذه النظم . .

وكان من أهم ما أوصى به ربنا في هذا الشأن الاعتدال في الإنفاق ، فلا تقتير ولا إسراف ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان : ٦٧] . .

كما أوصانا بالإنفاق على النفس ، وعلى الأهل وعلى المجتمع . . يقول تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، كما يقول : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢١٥] . .

ثم حدد أصحاب الحقوق في النفقات ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٠] . .

ثم حذر وأنذر الذين لا ينفقون في سبيل الله ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥] . .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم ذكر لنا ألوانًا قاسية من العقوبات التي ستوقع على الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله والخير ويكنزونها ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]..

ولم يكتفِ القرآن الكريم بأساليب الترغيب والترهيب في الإنفاق، ولكن وضع له تشريعًا محكمًا.. فأعلن أن الزكاة فريضة من الفرائض مثلها مثل الصلاة، واعتبرها حقًّا يجب الوفاء به ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] وألزم الرسول وكل من يتولى أمر الناس بجمع الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] كما عدد الفئات التي تستحق هذه الزكاة..

وقد ذكرت الزكاة في المرتبة الثالثة في أركان الإسلام الخمسة، فقال رسول الله ﷺ: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا»**[1]..

ولقد أدرك الخليفة الأول مدى مكانة الزكاة من العقيدة، حين هم بتجريد حملة عسكرية لمحاربة مانعي الزكاة، وقال عبارته المشهورة: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لجاهدتهم عليه»..

نخلص من هذا أن ملكية الله للمال هي الأصل، وأن دور الإنسان دور الموظف في هذا المال وهذا يدعونا لأن نعتبر قضية المال قضية خاضعة لجوهر العقيدة، فلا بد من التسليم بأن المال مال الله، وأننا مستخلفون

(١) أخرجه: البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من الله في هذا المال، وهذا يلزمنا بأن نلتزم بالقواعد التي وضعها الله والتي حددت وسائل كسب المال، كما حددت وسائل إنفاق هذا المال..

فإذا استنزلنا هذا الكلام إلى موقع العمل، وتمثلنا المال الذي تملكه الدولة كمال عام أو مال خاص، وتمثلنا المؤسسات والشركات العامة والخاصة التي تعمل في المال، وتمثلنا الأفراد الذين يكسبون المال وينفقونه.. إذا تمثلنا هؤلاء جميعًا، وقد استسلموا لهذه العقيدة، وهي أنهم ليسوا أكثر من موظفين في مال الله.. وأنهم مؤتمنون عليه، وأنهم مكلفون باكتسابه من مصادره المسموحة، وأنهم مكلفون بإنفاقه على الوجه الذي بينه الله لنا..

إذا تحقق هذا المفهوم لدى الدولة ومؤسساتها وشركاتها وشعبها فإنها ستعيش في جو عبادي رائع، كما ستعيش في أمن وأمان وتكافل.. وصدق الله العظيم وهو يسجل لنا هذا النداء: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ويسجل عمر بن الخطاب مفهومه ومفهوم حكومته للمال فيقول: «إني لأضع نفسي من مال الله موضع الوصي على مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وإن أيسرت رددت»..

من هذا المنطلق نستطيع أن نبدأ التفكير في مشاكلنا الاقتصادية، ولسوف نجد لها الحل الأمثل..

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قضية الزكاة

لقد اجتمعت آيات الزكاة مع آيات الصلاة في اثنتين وثمانين آية في القرآن الكريم، وهذا يكشف لنا عن مركز الزكاة وموقعها من الإيمان ومن العبادة.. فالإيمان بوجوبها شرط من شروط الإيمان، والالتزام بالوفاء بها يمثل ركنًا رئيسيًّا في العبادة، ولذلك صدر الأمر لرسول الله، ولمن يخلفه في الإمامة والحكم بأن يلزم الناس بدفع الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]..

وليست الزكاة كما فهمها البعض جباية أو إتاوة تفرضها الحكومات على الشعوب كالضرائب، ولكنها فريضة من الله، وأداؤها قربى لله؛ ولذلك فإن على الحاكم أن يتولى هو والعلماء تذكير الشعوب بمفهوم الزكاة، وأنها عبادة، وأن أداءها فيه خير لهم أفرادًا وجماعات، ثم يقوم بجمعها منهم بالمعروف فإن أبوا فعليه إرغامهم؛ لأنها أولًا فريضة، ثم هي حق للفقراء في أموال الأغنياء، كما قال الرسول: **«تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم»**[1]..

فإذا تعاون الحاكم والشعب في الوفاء بهذه الفريضة.. استحقوا الرحمة والخير والسعادة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]..

---

(١) تقدم.

أما إذا فرط الناس في أداء هذا الواجب فإن تحذير الله لهم بالغ الخطورة ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦]..

وتحذير آخر ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]..

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من يدفع الزكاة

يدفعها المسلم الحر ، بعد أن يأخذ من ماله ما يحتاجه من نفقات السكن والملبس والمأكل والمركب والمصاريف الأخرى الضرورية . ثم بعد هذا لا تجب الزكاة إلا بعد أن يمتلك صاحب المال النصاب . . لكن ما النصاب؟ . . لقد حدد الرسول ﷺ النصاب في حديث جامع لصاحبه وابن عمه علي بن أبي طالب : **«ليس عليك شيء في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارًا ، فإذا كانت عشرون دينارًا وحال عليها الحول** (أي العام) **ففيها نصف دينار ، فما زاد فبحساب ذلك ، وليس في مال زكاة حتى يحول عليها الحول»**[(١)] . .

وتجب الزكاة في الفضة والنصاب الذي تجب فيه مائتي درهم .

وتجب الزكاة في أوراق البنكنوت والسندات ، وفي حاصل الإيجار ، وفي التجارة ، وفي كل الدخول التي استجدت في عصرنا . . كما تجب في الأبقار والأغنام والجمال . . والزروع بكافة أنواعها . .

ولكن ماذا يعني هذا التقسيم والتنظيم؟

إن ابن القيم كشف لنا منذ مئات السنين الحكمة من هذا التقسيم في كتابه زاد المعاد فقال : «إن الله أوجب الزكاة مرة كل عام ، وجعل حول الزروع والثمار عند كمالها واستوائها ، وهذا أعدل ما يكون ؛ إذ وجوبها كل شهر ، أو كل جمعة يضر بأرباب الأموال ، ووجوبها في العمر مرة يضر بالمساكين» . . ثم قال : «ثم إن وجوبها أي الزكاة بنسبة الخمس فيما يصادفه

(١) أخرجه : أبو داود (١٥٧٣) عن علي .

الإنسان كالركاز لأنه لا معاناة في الحصول عليه، ولكنه أوجب دفع عشر المال فيما كانت مشقة تحصيله وكلفته، وهذا يتمثل في الثمار والزروع التي تحرث فيها الأرض، وتسقى، ويبذر البذر، ولكنها تسقى دون جهد من الإنسان، أما إذا بذل الإنسان جهدًا في ريها، وتكلف نفقات في مقابل هذا فلا يدفع إلا نصف عشر محصوله، أما إذا تولى الإنسان نماء محصوله بعمل متصل، وسعي في الأرض، وتولى إدارة المال، أو أسندها لغيره، فإنه يدفع ربع العشر فقط».

ولأن الزكاة عبادة فقد اشترط توافر النية قبل دفعها، كما اشترط أن تكون من أطيب الأموال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]..

وأكبر ميزات الزكاة أنها تدفع من رأس المال وليس من الربح؛ ولذلك فهي تحمل الناس حملًا على استثمار أموالهم، وإلا استنفد مالهم من الزكاة، ثم تحمل رب المال مسئولية اكتناز ماله وعدم إنفاقه في وجوه الإنفاق المشروع..

❊ ❊ ❊

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَن يأخذ الزكاة؟

الزكاة تؤخذ من الأغنياء وتُعطى للفقراء . . هذا هو دستور الزكاة ، الذي وضعه الله للناس ، وبينه الرسول عليه الصلاة والسلام . .

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٠] . .

ويلاحظ أن هذه الفئات تمثل قطاعات من المجتمع ، منهم الفقير ، ومنهم المدين العاجز عن الوفاء بدينه ، ومنهم من يتطلع إلى الحرية ولكنه لا يملك مقابل هذه الحرية . . ولقد توسع الشيخ محمود شلتوت في تفسير ابن السبيل بحيث اتسعت لقطاعات عريضة من المجتمع فقال : «إن المقصود بصرف الزكاة في سبيل الله ، فهي ناحية (المصالح العامة) التي لا ملك فيها لأحد ، والتي لا يختص بالانتفاع بها أحد ، فملكها لله ، ومنفعتها لخلق الله ، وأولاها وأحقها التكوين الحربي الذي ترد به الأمة البغي ، وتحفظ الكرامة ويشمل الإعداد والعدد على أحدث المخترعات ، ويشمل المستشفيات عسكرية ومدنية ، ويشمل تعبيد الطرق ، ومد الخطوط الحديدية ، ويشمل الإعداد القوي الناضج لدعاة إسلاميين ينشرون كلمته ، ويتعقبون مهاجمة الخصوم لمبادئه ، وكذلك يشمل دوام الوسائل التي يستمر بها حفظة القرآن الذين تواتر ويتواتر بهم نقله إلى يوم الدين ، وكلمة سبيل الله على وجه عام ، كل ما يحفظ للأمة مكانتها المادية والأدبية والروحية ، ويحقق شعائرها على الوجه الذي به تتميز عن غيرها ، وتقضي به حاجتها من نفسها» .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبذلك تستطيع الزكاة أن تغطي معظم حاجات المجتمع، وتشيع العدل والحب بين مختلف طبقاته، وأهم ميزات الزكاة أنها حق للعانين والمحتاجين والضعفاء قبل المقتدرين والأقوياء وليست منة منهم ولا تفضيلًا، وهذا الحق فرضه الله، ووضع نظمه، وقام الرسول بتطبيقه على مجتمعه ليكون نموذجًا حيًّا يقتدى به على طريق الحياة..

وبعد أن يستوفي الفقير والعاني والضعيف حقه من الزكاة المفروضة، يفتح الله له أبوابًا أخرى في مال الأغنياء، وفي نفس الوقت يشجع الأغنياء على المزيد من الإنفاق ممنيًا إياهم بعائد كبير في الدنيا وفي الآخرة..

وعلى الرغم من إيجاد الحافز العام للكرم والبر والإنفاق على المحتاجين، على الرغم من هذا فإن الدين أوجد مواسم زمنية، وهيأ أماكن معلومة للمزيد من الإنفاق..

فمثلًا شجع على الإنفاق في شهر رمضان، حتى إذا انتهى الشهر أوجب زكاة الفطر، يؤديها كل الناس الكبار والصغار الأغنياء وكل القادرين..

وكذلك الشأن بالنسبة لعيد الأضحى، حيث تذبح الذبائح ويوزع نصيب وافر منها على الفقراء..

وفي موسم الحج استحث الناس على كثرة الإنفاق وأوجب الذبح على الحجاج..

وعند ميلاد كل طفل شجع على ذبح ذبيحة لتوزع على الفقراء..

وعند وفاة إنسان يتصدق على الفقراء..

ثم إنه أدخل نوعًا جديدًا من العقوبة فيمن يخالف أمر ربه، وهذه العقوبة تتمثل في إطعام الفقراء..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالمخالفات التي تقع في الحج أوجب الذبح وتوزيعه على الفقراء . .

والإفطار في رمضان أوجب إطعام عدد كبير من الفقراء . .

وحتىٰ يشجع الناس على الإنفاق جعله الله مباشرة ، وأن ثوابه وأثره محفوظ ومصون عنده فقال :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة : ١١١] . .

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان : ٨] . .

ويسوق لنا الرسول عليه الصلاة والسلام تشبيهًا بالغ الجمال ليوضح لنا هذا المفهوم فيقول :

«إن الله ﷻ يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه ، فيربيها كما يربي أحدكم مهره أو فلوه أو فصيله ، حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد»[1] .

* * *

(١) تقدم .

العمود الرابع

الصوم

بعد أن يدخل المؤمن بيت الإيمان معلنًا الشهادة . .

وبعد أن يلزم بأداء الصلاة خمس مرات على مدى العمر . .

وبعد أن يجبر على دفع الزكاة على رأس كل عام . .

بعد هذا يؤمر على مدى شهر كامل من كل عام بالكف عن شهوة الطعام وشهوة الجنس . .

فما حكمة هذا الأمر؟ . . هل هو عقوبة أم هو تربية وتهذيب؟ . .

هذا ما سنحاول الإجابة عنه . .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصوم عبادة قديمة

الصوم عبادة قديمة عند معظم الأمم، حتى الأمم الوثنية كانت ولا تزال تصوم.. فالهندوكيون كانوا ولا يزالون يصومون أربعة وعشرين يومًا من العام، ويستغرق صيامهم النهار كله..

وكان الفراعنة وقومهم يصومون في المناسبات والأعياد..

أما أهل الكتاب من يهود ومسيحيين فلهم نظم خاصة في الصوم..

فاليهود مثلًا يرتبط صومهم بالحداد والحزن.. فيتذاكرون الأحداث المؤلمة التي وقعت بهم، من ذلك أنهم يصومون الأيام التي تذكرهم بما لاقوه عندما أسروا في بابل.. كما يصومون إذا وقعوا تحت وطأة ظلم سياسي..

ويختلف صوم اليهود من إقليم إلى آخر.. أما عن وقت الصوم فإنه يبدأ مع طلوع الشمس إلى ظهور أو نجم، باستثناء يوم الكفارة فإنه يبدأ من المساء إلى مساء اليوم الذي يليه..

أما الصوم عند النصارى، فله صور عديدة، يقول القديس إيرينيس عن تاريخ الصوم عند النصارى: إن الصوم عندهم يستغرق يومًا كاملًا أو يومين أو بضعة أيام، ومنه ما يستغرق أربعين ساعة متوالية..

ولقد أصدرت الكنيسة قديمًا قائمة بأحكام الصوم، وتفردت الكنيسة الإنجليزية بنظام خاص، فحددت أيامًا للصوم، ولكنها لم تضع له نظمًا دقيقة تاركة ذلك لضمير الصائم.. ويستهدف الصوم عند النصارى تطهير النفس ومقاومة الشهوات الجسدية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجاء الإسلام ليعلننا بالصوم، ويذكرنا بأننا سنصوم شأننا شأن الأمم التي سبقتنا من أهل الكتاب.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]..

ويؤكد لنا الرسول هذه الصلة بين حاضره وماضي من سبقه من الأمم، فعندما دخل المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسأل عن سبب صومهم، فقالوا له: يوم صالح، نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال عليه الصلاة والسلام: **«أنا أحق بموسى منكم»** ثم صامه وأمر بصيامه.. ولكنه حذر من اعتبار صومه فريضة فقال في موضع آخر: **«من شاء صامه ومن شاء تركه»**[1].

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٣٨٣١)، ومسلم (١١٢٥) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لماذا الصوم؟

الجواب الأول - والذي تدور حوله كل الأجوبة- هو أن الله قد كتب علينا الصوم فوجب علينا الاستجابة لأمر الله، يقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]..

ولأن الله تعالى لم يفرض علينا أمرًا من الأمور، إلا من أجل منفعتنا في دنيانا وأخرانا.. فسوف نبحث من خلال كلام الله وكلام رسوله عن الحكمة من الصوم..

يقول الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فالصوم فيه خير لكل صائم، وفيه خير للأمة الصائمة..

فما صورة هذا الخير؟

الخير كل الخير في ارتباط شهر رمضان بالقرآن.. فقد شرف الله هذا الشهر بنزول القرآن فيه.. لننصت بكل قلوبنا وعقولنا لما قاله الرسول بهذا الشأن، ولنتأمل مدى ما أصابنا ويصيبنا من خير من وراء هذا الارتباط، قال رسول الله: **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»**[1].

هذا الخير العظيم يظل كل شهر رمضان.. ومع هذا فإن الله منحنا فيه هبة خاصة، فاختار ليلة من ليالي رمضان خصها بأجر يصل إلى ثلاثين

---

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٤) عن عبدالله ابن عمرو. قال الذهبي في «السير» (١٢/ ٢٢): «إسناده لين».

ألف ليلة من مثيلاتها : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر : ١-٥] . .

هذا جانب من جوانب الخير نلمسه في شهر رمضان . .

فماذا في رمضان؟ وفي صوم رمضان؟

لقد شهد شهر رمضان أول انتصار للمسلمين ، بعد معاناة وعذاب واغتراب عن أرضهم وديارهم ، فثبت الله به قلوبهم ، وطمأن نفوسهم ، فإذا توسط شهر رمضان فلنراجع أيام النصر ، ولنستبشر به وبها . .

ثم ماذا؟

لقد أتاح الله للمؤمنين شهر الصوم ليغتسلوا فيه من الأخطاء التي يرتكبونها طوال العام السابق لرمضان . . وهذا ما أكده رسول الله ﷺ حين قال : **«الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**[1] . .

كما زف إليهم بشرىٰ تطمئن قلوبهم ، وتؤمن مستقبلهم ، فقال : **«قد جاءكم شهر مبارك ، افترض عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم»**[2] . .

---

(١) أخرجه : مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه : أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٥ ، ٣٨٥ ، ٢٣٠) ، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢٤١٦) ، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٦/ ١٥٤) ، وأبو قلابة لم يسمع من أبي هريرة ، قاله المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٥٤٤) ، والعلائي في «جامع التحصيل» (ص : ٢١١) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويسبغ ربنا صفة خاصة على الصوم وعلى الصائمين ، فيعلننا في حديث قدسي أن الصوم لله ، وأنه هو الذي سيجزي الصائمين عن صومهم فيقول : **«كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»**[١] . .

كل هذا العائد يكاد يكون مردوده في الآخرة ، فماذا عن عائد الدنيا؟! يمنح الرسول صفات عالية للصائم ، فيضعه في مصاف الحاكم العادل ، يقول الرسول : **«ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، والمظلوم»**[٢] ، ويقول عن الصائم : **«إن للصائم عند الله دعوة لا ترد»**[٣] . .

ثم ماذا؟

تمتد الحكمة من الصوم إلى الأخلاق ، فتعمل على تعويد الناس على الاستمساك بالمثل العليا ، وتحملهم على الكف عن المساس بحقوق وكرامة الآخرين ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : **«ليس الصيام من الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد وجهل عليك فقل : إني صائم»**[٤] . .

---

(١) أخرجه : البخاري (٥٩٢٧) ، ومسلم (١٥١١) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه : أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٤) ، والترمذي (٣٥٩٨) ، وابن ماجه (١٧٥٢) عن أبي هريرة ، وصححه ابن خزيمة (١٩٠١) ، وابن حبان (٧٣٨٧) .

(٣) أخرجه : ابن ماجه (١٧٥٣) عن عبدالله بن عمرو . وصححه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٢٢) .

(٤) أخرجه : الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٠-٤٣١) عن أبي هريرة . وأصله عند البخاري (١٨٩٤) ، ومسلم (١١٥١) .

القاعدة أرساها رسول الله بحديثه المشهور : **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»**[١] ، ويخص الرسول النية في شهر رمضان بحديث آخر : **«من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام»**[٢] (أي ينوي الصيام قبل الفجر) والنية محلها القلب . .

ثم يعلن الناس كافة بصيام شهر رمضان . .

من يصوم ومن يفطر في رمضان :

يصوم كل مسلم بالغ مستمتع بقواه العقلية . . وهذا يعني أن الفريضة تلزم من يتوافر فيه النضج العقلي والنضج الصحي والنضج النفسي . . فمن توافرت فيه هذه الصفات ولم يصم فعليه أن يتحمل عقوبة دنيوية وعقوبة أخروية . . إلا إذا اعترضته أعذار خاصة ، ككبر السن أو المرض أو السفر أو أعذار أخرى سنعددها .

هذه الظروف الشخصية يسمح فيها بالإفطار .

وهناك موانع زمنية يحرم الصوم فيها على الجميع مثل صوم يوم عيد رمضان وصوم يوم عيد الأضحى ، ويكره صوم يوم الجمعة ، فإذا كان ولا بد من صومه فلنصم يومًا قبله أو يومًا بعده ، قال رسول الله : **«لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم»**[٣] . .

---

(١) أخرجه : البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه : أبو داود (٢٤٥٤) ، والترمذي (٧٣٠) ، والنسائي في «المجتبى» (٢٣٣١) ، وابن ماجه (١٧٠٠) عن حفصة رضي الله عنها . قال الترمذي : «حديث حفصة حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، وقد روي عن نافع عن ابن عمر قوله وهو أصح» .

(٣) أخرجه : البخاري (١٩٨٥) ، ومسلم (١١٤٤) عن أبي هريرة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويحرم صوم الدهر كله ، وقد حسم الرسول في هذا الأمر بقوله : **«لا صام من صام للأبد»**[١] . .

ومن الأعذار التي تبيح الإفطار في رمضان ، القتال في سبيل الله ، والسفر البعيد ، والمرض الشديد ، والإجهاد الكبير . .

فالرسول أوصى أصحابه بالإفطار استعدادًا للقاء الأعداء فقال وهم يتأهبون لدخول مكة : **«إنكم قد دنوتم من عدوكم ، والفطر أقوى لكم»**[٢] .

ويعقب أبو سعيد الخدري على هذا الحديث وهو راويه ، فصارت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر . .

ويروي لنا الإمام مسلم حديثًا عن الرسول بشأن الصوم في السفر ، يقول : سأل حمزة الأسلمي رسول الله قال : يا رسول الله ، أجد مني قوة على الصوم في السفر ، فهل عليَّ جناح؟ فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : **«هي رخصة من الله تعالى ، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه»**[٣] . .

أما بالنسبة للمرضى وكبار السن فقد أورد القرآن الكريم آية في سورة البقرة : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، ويفسر لنا العالم الكبير ابن عباس ابن عم رسول الله هذه الآية فيقول : هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم ، فيطعمان مكان كل يوم

(١) أخرجه : البخاري (١٩٧٧) ، ومسلم (١١٥٩) عن عبدالله بن عمرو بن العاص .
(٢) أخرجه : مسلم (١١٢٠) عن أبي سعيد الخدري .
(٣) أخرجه : البخاري (١٩٤٣) ، ومسلم (١١٢١) ورواية البخاري مختصرة .

مسكينًا . وأما المرضى فقد جاء بشأنهم نص صريح : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة : ١٨٤] . .

لكن ما هو المرض الذي يباح فيه الإفطار؟ لقد اجتهد الفقهاء كثيرًا في تحديد المرض الموجب للإفطار، والمرض الذي يجوز فيه الإفطار . . والأفضل الرجوع إلى الأطباء المختصين ليقولوا رأيهم . .

عقوبات المفطرين:

المفطر المتعمد يتحمل المسئولية أمام الله باعتباره عاصيًا لعبادة مفروضة عليه ، وهي تمثل ركنًا رئيسيًّا من أركان العقيدة ، وبالتالي فإن العقوبة على هذه المعصية سوف توقع عليها العقوبة التي ارتضاها الله ، وقد حذرتنا الأحاديث النبوية من إهدار هذا الركن الأساسي في العقيدة ، قال رسول الله : **«عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان»**[(١)] . .

وحذر الرسول من الإفطار في رمضان فقال : **«من أفطر يومًا من رمضان في غير رخصة رخصها الله ، لم يقضِ عنه صيام الدهر كله وإن صامه»**[(٢)] ، فالعقوبات الأخروية موكول أمرها لله ، وهو الذي يقدرها

---

(١) أخرجه : أبو يعلى في «المسند» (٢٣٤٩) ، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٨٤٥) ، وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٥١١) .

(٢) علقه البخاري في الصوم/ باب إذا جامع في رمضان ، ووصله أبو داود (٢٣٩٦) ، والترمذي (٧٢٣) ، وابن ماجه (١٦٧٢) عن أبي هريرة . قال الترمذي : «حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمشيئته ، أما العقوبات الدنيوية فقد جعلت لردع المفطرين ليتوبوا ، كما وضعت لحماية المجتمع من المجاهرين بالإفطار حتى لا يجهر الناس بمعصية الله . .

ومن المخالفات الموجبة للعقوبة في رمضان :

ممارسة الجنس في رمضان ، أيًّا كانت الممارسة ، وهذه عقوبتها عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين فقيرًا . . ولكن ما الوضع إذا استعصى الأمر ، وصعب توقيع هذه العقوبات ، الجواب نجده في هذه القصة الطريفة يحكيها لنا أبو هريرة ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله ، فقال له النبي : **«هل تجد ما تعتق رقبة؟»** قال : لا ، قال النبي : **«فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»** قال : لا ، قال : **«فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟»** قال : لا ، فجاء النبي بمكيال من تمر يسع خمسة عشر صاعًا وقدمها للرجل وقال له : **«تصدق بهذا»** فقال الرجل : فهل على أفقر منا!! فضحك النبي وقال له : **«اذهب فأطعمه أهلك»**[(١)] . .

ونفس العقوبة توقع على من يفطر عمدًا في رمضان ، يحدثنا أبو هريرة قال : جاء رجل إلى الرسول ﷺ قال : أفطرت يومًا في رمضان متعمدًا ، فقال الرسول : **«أعتق رقبة أو صم شهرين متتابعين أو أطعم ستين مسكينًا»**[(٢)] . .

---

(١) أخرجه : البخاري (١٩٣٧) ، ومسلم (١١١١) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه : البزار في «المسند» (٣/ ٣١٤) ، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٢٠٨) عن عامر ابن سعد عن أبيه . قال البزار : «وهذا الحديث لا نعلم يروى عن سعد إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم رواه إلا الواقدي والواقدي قد تكلم فيه أهل العلم» .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذه العقوبات تسمى كفارات . . وهذه العقوبات لا تحول دون توقيع عقوبات من الحاكم أو القاضي على المجاهر بالإفطار . .

أما بالنسبة للذين يفطرون لأعذار شرعية فعليهم قضاء الصوم ، فإذا تعذر القضاء كأن يكون المفطر مريضًا مرضًا مزمنًا ، أو شيخًا كبيرًا ، فعليه إطعام فقير عن كل يوم بفطره . .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحذيرات

الأوامر القرآنية الصريحة تحرم علينا الطعام والشراب والجنس طوال النهار . . ولكن ما القول فيما عدا ذلك؟!

إن الرسول ﷺ تولى الشرح والإيضاح لأصحابه ، وقام الصحابة بعده بمزيد من الإيضاحات ، ثم اجتهد العلماء ولا يزالون يجتهدون في كثير من القضايا التي استجدت .

فمثلًا ما القول فيمن أكل أو شرب ناسيًا . . يجيب الرسول عن هذه المشكلة بكل وضوح فقال : **«من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه»**[1] . .

وبالنسبة لقضايا الجنس ، فكل ممارسة للجنس من متزوج أو من غير متزوج ، يؤدي إلى الإفطار في رمضان ، لكن من نام واحتلم فلا مسئولية عليه . .

ويثور سؤال : وماذا بشأن الأمور التي لا تصل لدرجة الممارسة الفعلية كالتقبيل؟ الأفضل تجنب كل ما يؤدي إلى الاستثارة التي قد تدفع إلى الخطأ الجسيم . . لأن الصوم يعني فيما يعني الحرمان فالأولى الأخذ بالأحوط . . إلا أن هذه التصرفات مثل التقبيل لا تفطر . . يحكي لنا عمر بن الخطاب هذه الواقعة ، قال : هششت يومًا ، فقبلت وأنا صائم ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : صنعت اليوم أمرًا عظيمًا ، قبلت وأنا صائم ، فقال رسول الله : **«أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟»** قلت : لا بأس بذلك ، قال :

---

(١) أخرجه : البخاري (١٩٣٣) ، ومسلم (١١٥٥) عن أبي هريرة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«ففيمَ»[١] (يعني ففيمَ السؤال؟) . .

ولقد استجدت في عصرنا قضايا اجتهد العلماء في إيجاد مخارج لها من ذلك استعمال الحقن . . فأفتىٰ معظمهم بأنها لا تفطر سواء كانت للعلاج كالمضادات الحيوية أو للتغذية . . وتحفظ البعض بالنسبة للحقن من النوع الثاني . .

ومن القضايا التي استجدت الأعمال الشاقة في المناجم وغيرها ، وقد تعرض الشيخ محمد عبده لهذه الأقضية ، فقال : فالمراد بمن يطيقونه الشيوخ الضعفاء والزمنىٰ ونحوهم كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال الشاقة كاستخراج الفحم ، ومنهم المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة إذا شق الصيام عليهم بالفعل ، وكانوا يملكون الفدية ، ويروي رسول الله أنه قال : **«إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحبلىٰ والمرضع الصوم»**[٢] . .

* * *

(١) أخرجه : أحمد في «المسند» (١/ ٥٢ ، ٢١) ، وأبو داود (٢٣٨٥) ، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣٠٤٨) وصححه ابن حبان (٣٥٤٤) ، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣١) .

(٢) أخرجه : أبو داود (٢٤٠٨) ، والترمذي (٧١٥) ، والنسائي في «المجتبىٰ» (٢٣١٥) ، وابن ماجه (١٦٦٧) عن أنس بن مالك الكعبي . قال الترمذي : «حديث أنس بن مالك الكعبي حديث حسن ولا نعرف لأنس بن مالك هذا عن النبي ﷺ غير هذا الحديث الواحد والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللقاء بين الصلاة والصوم

لأن الصلاة فريضة وكذلك الصوم، فقد نشأت علاقة قوية بين العبادتين . . فعلى الرغم من عدم وجود زيادة مفروضة من الصلوات، وهذه الصلوات وردت عن رسول الله ﷺ . . من هذه الصلوات . . صلاة القيام . . وتكون بعد صلاة العشاء وتمتد إلى الفجر . . وهي تسمى صلاة التراويح . . وقد استحثنا الرسول على صلاتها فقال : **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**[١] . ومع هذا فإن النبي حذر أصحابه من الظن أنها فريضة ؛ ولذلك فقد صلاها معهم في المسجد وصلاها في بيته، أما من جمع الناس على صلاة القيام فهو عمر بن الخطاب . .

وقد استأثرت ليلة القدر بالاهتمام الكبير نظرًا لورود نص صريح من أن العمل فيها يتضاعف أجره ما يقرب من ثلاثين ألف ضعف، وهي تقع في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، وقد استحثنا الرسول عليه السلام بقيامها فقال : **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**[٢] . . بل إنه لقننا بعض الأدعية لنقولها في هذه الليلة، فعندما سألته زوجته عائشة عما تقوله في هذه الليلة قال لها : **«قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني»**[٣] . .

---

(١) أخرجه : البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩) عن أبي هريرة بدون قوله : «وما تأخر» .

(٢) تقدم .

(٣) أخرجه : أحمد في «المسند» (٦/ ١٧١)، والترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح» .

ويستأثر شهر رمضان بنظام يتميز به عن الشهور كلها وهو الاعتكاف . . وهو المكث في المسجد في العشر الأواخر من رمضان . . ويستندون في هذا لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة : ١٨٧] . . والمعتكف يكثر من الصلاة والتسبيح والاستغفار ودراسة العلم . .

وعدا الاعتكاف والقيام وقيام ليلة القدر ، فإن المطلوب من الصائم أن يكثر من الصلاة ليلًا ونهارًا . .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللقاء بين الصوم والزكاة

ولأن الزكاة فريضة شأنها شأن الصوم، فقد نشأت علاقة قوية بين العبادتين، عبادة الامتناع عن الطعام، وعبادة إطعام المحتاجين.. وجعل من الأولى تذكرة للثانية، إلا أن البذل والإنفاق في رمضان ليس من الفريضة.. فهو عمل مستحب، وقد أوصانا به الرسول عليه الصلاة والسلام ابتداء من اليوم الأول في رمضان إلى آخر يوم فيه حين يتوج رمضان بزكاة عيد الفطر..

فالإنفاق على الفقراء مستحب في شهر رمضان، أكثر من الشهور الأخرى، يقول ابن عباس: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان من أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.

ويتوج رمضان بزكاة الفطر، ويستحثنا الرسول على دفعها لعدة أسباب: منها أنها عبادة وقربى إلى الله، ومنها أنها تساعد على تقبل الصيام، فالصوم يظل معلقًا بين السماء والأرض لا ترفعه إلا زكاة الفطر، ويحدثنا ابن عباس عن فوائدها فيقول: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات..

وبإيجاز مطلق يوضح لنا الرسول الغرض من زكاة الفطر فيقول: **«أغنوهم (أي الفقراء) في هذا اليوم»**[1]..

---

(١) أخرجه: الدارقطني في «السنن» (٢/ ١٥٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ٤٧٥) عن ابن عمر.

وماذا عن الحج والصوم

أما بالنسبة للقاء بين الحج والصوم فإن من رحمة الله بالناس وحرصًا على التخفيف عنهم، فقد نهى عن صوم يوم عرفة في الحج، في حين سن الصوم في هذا اليوم بالنسبة لغير الحجاج.. وفي هذا يقول رسول الله: **«يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب»**[1]..

* * *

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٢) أبو داود (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣) عن عقبة بن عامر. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه ابن خزيمة (٢١٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصوم في غير رمضان

الصوم كغيره من العبادات ليس قاصرًا على الفريضة ، وهي صوم شهر في العام ، ولكن هناك مناسبات وأيامًا يحتفل فيها بالصوم ، من هذه الأيام :

صوم عرفة لغير الحجاج ، وصوم عاشوراء ، وفي هذا يقول رسول الله : **«صوم يوم عرفة يكفر سنتين : ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»**(١) . .

أما الأيام الأخرى التي كان يصومها ، وينصح بصومها فكانت على مدى العام كله ، ومنها صوم ست أيام من شوال ، قال رسول الله : **«من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال فكأنما صام الدهر»**(٢) ، وصوم يومي الإثنين والخميس ، ويحكي لنا أبو هريرة أن النبي سئل عن سبب صيامه ليومي الإثنين والخميس فقال : **«إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم إلا المتهاجرين ، فيقول : أخرهما»**(٣) . .

وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم أكثر أيام شهر شعبان . .

وصيام يوم وإفطار يوم . . وفي هذا يقول الرسول : **«أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصفه** (أي نصف الليل) **ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا»**(٤) . .

---

(١) أخرجه : مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة .

(٢) أخرجه : مسلم (١١٦٤) عن أبي أيوب الأنصاري .

(٣) أخرجه : مسلم (٢٥٦٥) عن أبي هريرة ، بنحوه .

(٤) تقدم .

ومع تشجيع رسول الله ﷺ لأصحابه للإكثار من الصوم، إلا أنه كان يحذر من الإفراط المجهد، يحدثنا عبد الله بن عمرو عما نصحه به رسول الله ﷺ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«أخبرت أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟»** قلت: يا رسول الله، نعم. قال: **«فصم وأفطر، ونم؛ فإن لجسدك عليك حقًا، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام»**. فقلت: يا رسول الله، إني أجد قوة. قال: **«صم صوم نبي الله داود ولا تزد عليه»**. قلت: يا رسول الله، وما كان صيام داود عليه الصلاة والسلام؟ قال: **«كان يصوم يومًا ويفطر يومًا»**[1].

والصوم في المناسبات هو زيادة في العبادة والقربى إلى الله، وإصلاح النفس وتعويدها على تحمل مشاق الحياة، ومما يذكر أن الرسول أوصى الشباب بالصوم حتى يكفكف من شهواتهم: **«أيها الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[2] (أي وقاية)..

* * *

(١) تقدم.

(٢) أخرجه: البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العمود الخامس والأخير

وأذِّن في الناس بالحج

ويقف العمود الخامس بصلابة وقوة يطاول السماء في ارتفاعه، ويقف من حوله الأب الكبير، والابن العظيم وهما يرتفعان بالأذان، ويدعوان الإنسانية للحاق بهما حول أعظم بيت لله في الأرض ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]..

ويتردد صدىٰ النداء في أركان الأرض فيهرع إليه أبيض أوربا وأسود إفريقيا وأصفر آسيا، ويتسابق الشيوخ والشباب والنساء والرجال.. ويهتفون بقلوبهم وحناجرهم «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»..

ويمضي موكب الملبين بالتوحيد مهرولين خلف إبراهيم ومحمد، في طابور يعرف التاريخ أوله، ولكنه يعجز عن إدراك نهايته.. ثم هو لا يستطيع أن يحصيه عددًا لأنه انتظم وينتظم كل المؤمنين..

وليتنا نجمع شملنا ونمضي خلف الموكب العظيم متمثلين إبراهيم وكل أبنائه وهم يهرولون حول بيت الله، وقد ارتفع صوتنا «لبيك اللهم لبيك»..

* * *

ذكريات الأب الأكبر

الحج ذكرى، والذكرى تثبت وتؤكد الإيمان، وذكرى الحج تدعونا لاسترجاع عهد الأسرة الطاهرة، أسرة أبينا إبراهيم، وهم ثلاثة:

الأب إبراهيم..

الزوجة والأم هاجر..

الابن إسماعيل..

هؤلاء الثلاثة نعايشهم في الحج من بدايته إلى نهايته، ونكاد نتمثلهم في كل موضع من المواضع التي نرتادها في مكة وما حولها..

فصورة الأب تحكي رحلته الشاقة من الشمال وهو يعبر الصحراء الموحشة، ليلقي بأسرته وديعة بين يدي الله، في موضع انتفت فيه أسباب الحياة خاصة الماء والزرع.. تاركًا لهم ثلاث دعوات:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]..

ولأن الدعوات خالصة لله، متجردة من هوى النفس، فقد استجيبت على الفور.. فقد أقامت الأسرة وذريتها الصلاة، وسعى الناس بكل قلوبهم ومشاعرهم لهذه البقعة المباركة ولا يزالون يسعون.. وكانت زمزم عينًا عذبة لا ينفد ماؤها أبدًا.. فإن أخلصنا الدعاء فإننا سنحصل على الاستجابة الفورية من الله..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وننتقل مع الأب إبراهيم إلى مشهد آخر، يتعرض فيه لابتلاء مرير تشاركه فيه كل الأسرة..

يؤمر بذبح الابن بعد أن شب واكتمل بناؤه.. فيستجيب للأمر، ويهم بذبح الابن، ولفرط صدقه في إيمانه يكتب الله لابنه النجاة، ويثلج صدر الأب الكبير.. ونرث نحن الدرس، فكل من يصدق العزم ويستجيب لأوامر الله ونواهيه فإنه سوف يحظى بالنجاة والرحمة..

وبالأب وبالابن يوضع الأساس لأول بيت لله في الأرض، ويضمن الله حمايته وأمن الناس فيه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].. ونرث الذكرى والعبرة، فنذهب إلى البيت لنعيش في أمن وسلام وحب..

ومن ذكرى الأب ننتقل إلى ذكرى الأم..

الأم تذكرنا بحنان الأمومة، وصبرها، وإيمانها.. فتدعوها الأمومة، ويدعوها الحرص على وليدها، للمغامرة بالجري بين جبلين التماسًا للماء لتسقي صغيرها، وهي نفساء ضعيفة القوى.. وبعد أن تفقد الحيلة، وتنقطع الأسباب يرفس الطفل الأرض فتفتح فمها وتسقي الأم والطفل، وتسعد الأمم كلها من بعدهم بأعذب ماء هو ماء زمزم.

والذكرى تكون نسكًا، ويكون علينا أن نسعى بين الجبلين على طريق هاجر ندعو ونستغيث.. فإن صدقنا السعي وصدقنا الاستغاثة فإن الله سيستجيب لنا..

والابن يذكرنا بالطاعة، الطاعة لله، والطاعة للأب، فلا يمتنع عن تسليم رقبته لأبيه.. فلما نجاه الله عمل تحت إمرة أبيه في بناء بيت الله..

وتكون الذكرى نسكًا، فنذبح في الحج وفي غير الحج . . ويكون السمع والطاعة واجبًا في عنق الأبناء لمن صلح من آبائهم . .

هذه الذكريات بكل أبعادها تعايشنا في مكة ونحن نعيش في كنف المسجد الحرام، ثم تنتقل معنا لتعايشنا في حياتنا، وتملأ قلوبنا ونفوسنا بالإيمان والفداء والصدق والطاعة . .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذكريات الابن

وتنقلنا الذكرى إلى عهد الابن العظيم محمد ﷺ . .

وأول ما فعله محمد هو المضي على طريق إبراهيم، مسترجعًا كل الذكريات ثم يسجل مواقف جديدة ليورثنا ذكرياتها . . فيقف بعرفة معلنًا مكانة عرفة من الحج ويقول : **«الحج عرفة»**[1]، ثم يلقي أعظم وأخطر خطاب في تاريخ الإنسانية، ويترك لنا صدى هذا الخطاب بكل أبعاده ؛ ليكون دستور عمل سياسي واجتماعي واقتصادي لكل الأمم وكل الشعوب والحكومات . .

وعلى طريق الحج، في كل موقع من مواقعه، تتداعى الذكريات، نتذكر مئات الأصنام التي كانت تفترش ساحة المسجد، وتتحلق حول الكعبة، نتذكرها وقد عنت لها رءوس العرب إجلالًا وإكبارًا، نتذكرها وقد تمرد عليها هؤلاء العرب، وحطموا رءوسها، وهم يهتفون خلف نبيهم ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١] . .

ونحن نلثم الحجر الأسود تتداعى بنا الذكريات إلى الشاب الصالح الأمين محمد، وقد اجتمع عليه العرب، ليثبت الحجر الأسود في موضعه . .

وتطوف بنا الذكريات، ونتخيل المؤامرة التي دبرها قساة قومه، ليقتلوا دعوته بالجوع والسجن، ويدونوا هذه المؤامرة في وثيقة يعلقوها

---

(١) أخرجه : الترمذي (٨٨٩)، والنسائي في «المجتبى» (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥) من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه، وقال الترمذي : قال ابن أبي عمر : قال سفيان بن عيينة : وهذا أجود حديث رواه سفيان الثوري .

بالكعبة . . وبعد أن يثبت محمد وأصحابه أنهم على العهد صابرين محتسبين ، تقوم الأرضة بتمزيق الوثيقة الظالمة دون مساس باسم الله . .

كل هذه الذكريات والمئات من أمثالها نقرؤها ونحن نطوف حول الكعبة المباركة ، أو ونحن نسعى بين الصفا والمروة . .

حتى إذا خرجنا إلى عرض الطريق بمكة تشدنا دروبها إلى الأحداث الأولى التي شهدتها مكة وشهدتها شعابها وهي تتلقى الكلمات الأولى من محمد . . فمن فوق جبالها تنزلت السطور الأولى من القرآن . . ونزل محمد من غاره إلى زوجته خديجة يخبرها بأول لقاء له مع رسول السماء جبريل . .

وتجري الأحداث بعد ذلك تباعًا . . ويشهد وادي مكة وتشهد دروبها أروع صور الإيمان ، والبطولة ، والفداء ، والصبر . . كما تشهد بشاعة الفكر والطغيان والجور والكذب . .

ثم تنتقل الأحداث من مكة إلى دنيا الغرب والشرق ، هجرات إلى الحبشة ، وهجرات إلى الطائف والمدينة . . هجرات المؤمنين وهم يفرون بدينهم ، ومن خلفهم يشتد أعداؤهم في طلبهم ، أو في شن حرب إعلامية ضدهم . . كل هذه الهجرات خرجت من مكة خائفة مفزعة ثم عادت إليها ظافرة غانمة . .

وتنتقل بنا الذكريات إلى المدينة ، ويحكي الطريق مسرى الرسول وصاحبه ، ومأواهم في الغار ، ونجاتهم من مطارديهم . . كما يشهد الطريق المعارك الحربية المشهورة ، يشهد بدرًا وقد احتشد فيها الملائكة والمؤمنون في مواجهة شياطين المشركين ، ثم يشهد موكب الأسرى وهم يساقون إلى المدينة . . ويشهد الطريق كذلك مأساة أحد وقد هزم المسلمون لمخالفتهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمر القيادة الحكيمة . . كما يشهد عشرات المعارك . . ومن مشاهده الخالدة صلح الحديبية وهي تحكي أسلوب التفاوض الحكيم الذي يخدم الأهداف السامية متجاوزًا زخم العواطف وثورة المشاعر . .

وتشهد المدينة على مدى عشرة أعوام أضخم الأحداث ، وتكون بدايتها المصالحة الجماعية بين أكبر قبيلتين عربيتين ، ثم إحكام الصلة والأخوة بين أبناء المدينة وإخوانهم من أبناء مكة ، ومن هذا المجتمع الجديد تنشأ أول دولة سياسية ، ثم تقوم المدينة بالتصدي للغزو الخارجي ، فتسجل انتصارات باهرة على أعداء الدين الجديد . . وتنعم المدينة بنزول معظم القرآن بها خاصة ما يتعلق بالتشريع كما تنعم بإقامة أول مسجد بها ، كما تنعم بمسجد الرسول الذي يعد ثالث المساجد في الأرض . . ويضم هذا المسجد قبر آخر الأنبياء محمد ﷺ .

هذه المدينة بكل ذكرياتها تدخل دنيا الحج ، ففيها فرض الحج ، فرض في العام السادس من هجرة النبي ، ومنها خرج النبي للحج في العام العاشر من هجرته ، وفيها نزلت سورة الحج ، وفيها تعلم الصحابة كيفية الحج الصحيح . . ومع هذا كله فإن المدينة وذكرياتها ومواقعها لا تدخل في أركان الحج . .

فذكريات الحج من عهد إبراهيم إلى عهد محمد ، ما قام منها مقام الفرض ، وما قام منها مقام السنة ، كلها تعمل على إشباع روح وعقل وعواطف المؤمن بروح العقيدة وبمنهجها وبأسلوب الدعوة التطبيقي ؛ لأن مسيرة إبراهيم إلى هذا الموقع من الأرض ليضع فيه أساس البيت ، وما صاحب المسيرة من أحداث مؤثرة ، لم تكن عملًا عارضًا عشوائيًّا ، بل

كان تقديرًا وتدبيرًا من الله لحكمة بالغة . . ومسيرة محمد ﷺ على طريق إبراهيم ﷺ، ودفاعه المجيد عن دين أبيه، وعن البيت الذي بناه . . وما صاحب هذا من أحداث متباينة كل هذا لم يكن عملًا عارضًا أو عشوائيًّا بل كان التزامًا بمنهج رباني ملزم لهما ولمن تبعهما . .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لماذا نحج؟

أولًا وأخيرًا نحج لأن الحج فريضة من الله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧] . . وإنكار الحج إنكار للدين وكفر به ، أما ما يعطيه لنا الحج من منافع دنيوية وأخروية فلا حصر لها . . فالحج يقوم بتجريدنا من كل مظاهر الحياة التقليدية . . فهو ينزعنا من بيوتنا ومن دولنا ، ومن أهلنا ، ومن وظائفنا وأعمالنا . . كما يحررنا من ملابسنا وثيابنا . . هذا التجريد يعني رد الإنسان إلى فطرته الأولى . . وخلعه من كل انتماءات إلا الانتماء لله تعالى . . ويتم هذا التجريد بترك الأهل والوطن والمال والذهاب إلى موطن الحج في قلب الجزيرة العربية حيث يقوم المسجد الحرام . . وقبل دخول مكة يتم التجرد من الثياب إلا ما تقضي به الضرورة . . وبعد هذا التجرد يدخل إلى مكة كضيف على الله تعالى ، وهذا ما أوضحه الرسول بقوله : **«الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم»**[(١)] . .

وهذا التجرد يدخلنا في مجتمع جديد تنتفي فيه كل ضروب الصراعات الدنيوية ، فلا منازعة على مال أو سلطة ، ولا منازعات إقليمية ، ولا منازعات مذهبية أو فكرية ، وبذلك يدخل الناس دنيا السلام ، وهذا ما ذكرنا به رسول الله ﷺ وهو يهم بدخول البيت الحرام : **«اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحيِّنا ربنا بالسلام»**[(٢)] ، وصدق الله العظيم : ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران : ٩٧] . .

---

(١) أخرجه : ابن ماجه (٢٨٩٢) عن أبي هريرة . وفي الزوائد : «في إسناده صالح بن عبدالله قال فيه البخاري : منكر الحديث» .

(٢) أخرجه : البيهقي في «الكبرى» (٥/ ٧٣) عن مكحول مرسلا . وانظر «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٤٢) .

ولا يكتفي بالسلام بين بني آدم بل ينشر الله لواءه على الحيوان والطير . .

والحكمة من هذا التجرد والسلام لا تنتهي بنهاية الحج ، ولكن تنتقل بنا إلى دنيانا ، ومعايشتنا مع الناس ، فلا نتعالى على الغير ، ولا نحتكم إلى القبيلة ، ولا ننزع إلى الشعوبية . . ونعمل على نشر السلام والحب بين الناس ، ولا نجور ولا نبغي ولا نظلم حتى ولو بالكلمة . .

أما الطواف حول الكعبة ، فيذكرنا بعد تجردنا من كل مظاهر الحياة ، فيذكرنا بأننا سنواصل السير خلف إبراهيم ومحمد ، مجتمعين لا منفردين ، وهذا المفهوم الشمولي نجده في الأدعية التي أوصانا بها رسول الله ، فكان يقول ويوصينا أن نقول : **«اللهم إيمانًا بك ، وتصديقًا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعًا لسنة نبيك ، باسم الله والله أكبر»**[1] . .

ونحج لنسير على طريق هاجر وهي تجري مهرولة بين الصفا والمروة ، فيتجدد فينا الأمل والعزم ، وتتجدد في الأمهات التضحية بأروع معانيها من أجل أبنائها . . وبعد أن نقطع السبعة أشواط نتجه إلى المعجزة زمزم لنشرب من عذب مائها كما شربت الأم المؤمنة بعد أن أضناها الجهد والتعب . .

ونحج لنجتمع في الموقع الذي وقف فيه رسول الله ومن حوله أمته ، بحاضرها ومستقبلها ، وهو يهتف فيهم : **«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . . .»**[2] . .

---

(١) ذكره ابن الملقن في «خلاصة البدر المنير» (٢/ ٨) واستغربه . وانظر «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٤٧) .

(٢) تقدم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم يهتف فيهم : **«وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، رب العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء»**[١] . . ثم يقول في آخر خطابه : **«وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله»**[١] . . وقبل أن يختم خطابه يطلب منهم أن يشهدوا له بأنه أدى أمانته للبشرية . . يقول لهم : **«وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون؟»** فأجابوه : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت[١] . .

ونحج لنشارك في ضرب الشيطان ، ومطاردته ، متمثلينه في الأحجار الثلاثة (الجمار الثلاثة) حتى إذا اعترضنا الشيطان في حياتنا ، واستحثنا على الإثم تذكرنا معركتنا معه ، ورمينا إياه بالحجارة . .

ونحج لنعيش كل عهد محمد ﷺ ، فنسلك مسلكه ، ونأخذ عنه الحكمة والعلم ، والخلق ، والجهاد والصبر ، والحكم والقضاء ، والوفاء ، وكل هذه الخصال تشهد بها مكة والمدينة وما بينهما وما حولهما ، فنعود إلى ديارنا لنعمل كما عمل محمد ﷺ وأصحابه ، فنقيم الحق والعدل والخير والحكم العادل في قومنا . .

وأعظم من هذا كله أننا سنعود وقد أفاض الله علينا من رحمته وعفوه ، وتكفينا بعض بشريات النبي ﷺ لنا :

قال يوم عرفة : **«ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ﷻ ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء؟»**[٢] . .

---

(١) تقدم .

(٢) أخرجه : مسلم (١٣٤٨) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وقال : **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**[١] . .

ووضع الرسول الحج في المرتبة الثالثة بعد الإيمان بالله ، والجهاد في سبيل الله . . فعندما سئل عن أفضل الأعمال قال : **«إيمان بالله ورسوله»** ، قيل له : ثم ماذا؟ قال : **«جهاد في سبيل الله»** ، قيل : ثم ماذا؟ قال : **«حج مبرور»**[٢] . .

فالحج يمنحنا فرصة العمر للالتقاء مع الماضي بكل عبره وذكرياته ، ويجمعنا مع الحاضر فنلتقي مع الأمة الإسلامية وقد اجتمعت حول إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم لتأخذ عنهما ، ونتعاهد معهما لتمضي مجتمعة على نفس الطريق ، كما يمنحنا الحج فرصة للاغتسال من آثام الحياة ، فنخرج منها وكأنما ولدنا من جديد ، فنصحح إيماننا ونجدد شبابه . .

* * *

(١) أخرجه : البخاري (١٥٢١) ، ومسلم (١٣٥٠) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه : البخاري (١٥١٩) عن أبي هريرة . وأخرجه مسلم (١٨٨٥) عن أبي قتادة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف نحج؟

من صميم رسالة رسول الله أنه كان يؤدي كل الفرائض أمام أصحابه ، وكان يشركهم في أدائها ، فإذا أخطأ أحدهم في الأداء صحح له خطأه ، فمثلًا صلى بالناس إمامًا طوال عمر دعوته وقال لهم : **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[١] . . وصام مع الناس وأفطر معهم وعلمهم آداب الصوم ، كما علمهم مبطلاته ، وكان أسخى الناس في الإنفاق ، وعلم الناس مقدار الزكاة في المال سواء كان ذهبًا أو فضة أو زرعًا أو تجارة . .

وما فعله معهم في الصلاة والزكاة والصوم فعل مثله في الحج ، فقام بجمع أصحابه من أبناء المدينة ، وأبناء مكة وما حولها ، وتوجه إلى البلد الطيب الذي أخرج منه بليل ، وأدى كل مناسك الحج .

فماذا فعل النبي؟

يحدثنا جابر بن عبد الله عن حج رسول الله يقول :

في العام العاشر من الهجرة أذن رسول الله بالحج فقدم بشر كثير إلى المدينة كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ويعمل مثل عمله ، فخرج الرسول ونحن معه ، وبعد أن صلينا خلفه في المسجد ، أهل بالتوحيد : **«لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك»**[٢] ، وكنا نلبي مثله بصوت مرتفع . .

---

(١) تقدم .

(٢) أخرجه : البخاري (١٥٤٩) ، ومسلم (١١٨٤) عن ابن عمر .

ثم قدمنا إلى البيت، فاستلم الرسول عليه الصلاة والسلام الركن، فرمل ثلاثًا (أي أسرع) ومشى أربعًا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].. وكان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.. وبعد أن صلى الركعتين رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].. **«أبدأ بما بدأ الله به»**[1] فبدأ بالصفا، فرقي عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره وقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»**.. ثم نزل إلى المروة، وفعل على المروة مثل ما فعل على الصفا[1].

ثم كان يوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) ركب رسول الله إلى منى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس، ثم سار إلى عرفة، وهناك استظل تحت قبة ليحتمي من لفح الشمس، ثم خطب في الناس..

ثم قام فصلى الظهر، ثم قام فصلى العصر، ثم ركب ناقة حتى أتى الموقف، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفًا حتى غابت الشمس، ثم نزل إلى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر فصلى بنا، ثم ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحد.. وقبل أن تطلع الشمس اتجه إلى

(١) تقدم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجمرة الكبرىٰ فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة . . ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بيده ، ثم طهي اللحم وأكلوا منه . .

ثم ركب والناس معه فأفاض بالبيت أي طاف بالبيت طواف الإفاضة . .

هذا هو حج رسول الله كما رواه جابر ، وعلىٰ هدي هذه الرواية وما قاله رسول الله ، وضع الفقهاء معالم الحج أمام الناس . .

* * *

الحج والأركان الأربعة

عندما أعلن الرسول عن أركان البناء الإسلامي الخمسة والتي لا يكتمل الإسلام إلا بها، كان يعني أن هذه الأركان لا بد من تضامنها حتى يستقيم الإيمان . .

فما هي علاقة الحج بالأركان الأربعة : التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم . .

علاقة الحج بالتوحيد . .

الحج بكل معالمه يشهد بتوحيد الله، ويشهد برفض أي لون من ألوان الشرك بالله . . لنتأمل الكلمات الأولى التي يهتف بها كل الحجاج : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .

هذا الهتاف لقننا إياه رسول الله، وأوصانا أن نردده في كل موقع من مواقع الحج لنملأ قلوبنا ونفوسنا بالتوحيد . .

ومن معالم الحج الرئيسية بيت الله الأول هذا البيت أقيم لجمع الناس فيه على عبادة الله وحده ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران : ٩٦] . . هذا البيت تشهد بدايته ويشهد تاريخه أنه الركيزة الرئيسية للتوحيد، فكما أقامه إبراهيم على التوحيد، تولى محمد تطهيره من كل مظاهر الشرك ليرده إلى رسالته الأولى التي أسس من أجلها . .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علاقة الحج بالصلاة . .

تنشط الصلاة نشاطاً كبيرًا في موسم الحج ؛ لأن الحج موسم عبادة وتبتل ودعاء ؛ ولذلك ضاعف الله من أجر المصلين في المسجد الحرام ، وفي مسجد الرسول ، وفي كل موضع يقف فيه المصلي ، وفي هذا يقول الرسول : **«صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»**[1] . .

الحج والزكاة . .

موسم الحج موسم إنفاق وسخاء وبذل ، وهو بذلك يلتقي مع الركن الثالث وهو الزكاة في نفس الغاية وهي مساعدة الفقراء والمحتاجين . . ولذلك أوجب الله علينا الذبح في الحج وتوزيع اللحوم على الفقراء ، يقول الله تعالى : ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج : ٣٦] .

فالغاية من الذبح هي إطعام الفقراء والمساكين في موسم الحج . . وكما شجعنا الرسول على الإكثار من الصلاة في موسم الحج ، فإنه شجعنا على كثرة الإنفاق فقال : **«النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف»**[2] .

---

(١) أخرجه : ابن ماجه (١٤٠٦) عن جابر بن عبدالله . وهو عند البخاري (١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) عن أبي هريرة بدون قوله : «وصلاة في المسجد الحرام . . .» إلى آخره .

(٢) أخرجه : أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٨) ، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٤٨١) عن بريدة ابن الحصيب . قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ١١٣) : «رواه أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي ، وإسناد أحمد حسن» .

الحج والصوم . .

قرن الرسول عليه الصلاة والسلام الحج بالجهاد لما فيه من مشقة السفر والإنفاق فقال : **«جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج»**[١] ، وقال في موضع آخر : **«أفضل الجهاد حج مبرور»**[٢] . . ولذلك لم يجعل الحج في موسم الصوم أي في شهر رمضان حتى لا يشق الله على المؤمنين . . بل إن رسول الله حبب للناس الطعام والشراب في موسم الحج قال : **«إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهي أيام أكل وشرب»**[٢] ، بل إنه نهى عن صوم يوم عرفة بالنسبة للحجاج في حين أنه سنه بالنسبة لغير الحجاج .

فالأركان الخمسة تعمل كلها متضامنة ليستظل بها المؤمن ، ويعيش بها سعيدًا في دنياه وفي أخراه .

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾

تم الكتاب بحمد الله وفضله

---

(١) أخرجه : أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢١) ، والنسائي في «المجتبى» (٢٦٢٦) عن أبي هريرة .
(٢) تقدم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

التقديم ٥
تقديم القرآن ٩
وتهيأت الدنيا وتهيأ الإنسان لاستقبال القرآن ١٠
كيف نزل القرآن وكيف دُوِّن ١٤
كيف نزل القرآن؟ ١٥
متى وكيف دون القرآن؟ ١٧
كيف نطمئن إلى صحة التدوين؟ ٢٠
ما سرُّ هذه الحروف : الم . .كهيعصَ . . ق؟ ٢٥
السورة والآية ٢٨
وماذا تعني الآية ٣٠
السور المكية والسور المدنية ٣٢
الناسخ والمنسوخ من الآيات ٣٤
أسباب نزول القرآن ٣٧
تقديم الحديث ٤٧
أنواع السنة ٥١
ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي ٥٤
كيف انتقل إلينا الحديث؟ ٥٦
أشهر المسانيد ٥٨
كيف نعرف الحديث الصحيح ٥٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جولة مع كبار المحدثين عن رسول الله ﷺ ٦١
كيف نطمئن إلى صحة أحاديث الرسول؟ ٦٣
مراحل تدوين الحديث ٦٦
موقف السنة من التشريع ٦٩
تفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم ٧٣
الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث ٧٧
التوافق بين القرآن والحديث ٨٠
أولًا : التوافق في العقائد ٨٠
ثانيًا : التوافق بين القرآن والحديث في العبادات ٨٦
ثالثًا : التوافق بين القرآن والحديث في كل القضايا ٩١
التوافق في أسلوب التبليغ ١٠٠
والسؤال الأخير : كل أقوال الرسول وأفعاله مُلزمة!! ١٠٦
خلاصة الحديث ١٠٩
الأعمدة الخمسة التي بني عليها بيت الإسلام ١١٥
العمود الأول ١١٦
لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ١١٦
مع إبراهيم ١١٩
مع موسى ١٢٢
مع المسيح ١٢٥
مع محمد ﷺ ١٢٧
محمد رسول الله ﷺ ١٣١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العمود الثاني ١٤٥
الصلاة ١٤٥
الصلاة فرضٌ . . . يجبُ أداؤه . . . وإلا!! ١٤٧
كيف نصلي؟ ١٥٣
بداية ونهاية الصلاة ١٥٥
الصلاة . . على الجميع ١٥٩
صلاة المواسم والمناسبات ١٦٢
العمود الثالث ١٦٥
المال وزكاته ١٦٥
هذا المال . . مِلْكُ مَن ١٦٦
المال . . ملك لله وحده ١٦٨
الكسب الحلال . . والكسب الحرام ١٧٠
الإنفاق الحلال . . والإنفاق الحرام ١٧٢
قضية الزكاة ١٧٥
من يدفع الزكاة ١٧٧
مَن يأخذ الزكاة؟ ١٧٩
العمود الرابع ١٨٢
الصوم ١٨٢
الصوم عبادة قديمة ١٨٣
لماذا الصوم؟ ١٨٥
الطريق إلى شهر الصوم ١٨٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تحذيرات ١٩٥
اللقاء بين الصلاة والصوم ١٩٧
اللقاء بين الصوم والزكاة ١٩٩
وماذا عن الحج والصوم ٢٠٠
الصوم في غير رمضان ٢٠١
العمود الخامس والأخير ٢٠٣
وأَذِّن في الناس بالحج ٢٠٣
ذكريات الأب الأكبر ٢٠٤
ذكريات الابن ٢٠٧
لماذا نحج؟ ٢١١
كيف نحج؟ ٢١٥
الحج والأركان الأربعة ٢١٨
فهرس الموضوعات ٢٢١

❊ ❊ ❊

هذا الكتاب منشور في